

الإمام

السيد

الكامل

لنزار

قربان

الْأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الْكَامِلَةُ

حقوق الملكية الفنية محفوظة

منشورات نزار قباني
ص.ب ٦٢٥
بيروت

نزار قباني

الأعمال السبئية الكاملة

الجزء الثالث

لأنني لا أُمسحُ الغبارَ عن أحذية القياصرة
لأنني أقاومُ الطاعونَ في مدينتي المحاصرة
لأنَّ شعري كلُّهُ
حَرْبٌ على المغول .. والتتار .. والبرابرة
يشتُمُّني الأقزامُ والسمايرة ...

نزار

إيضاح إلى قراء شعري

...ويقولُ عني الأغبياء :
إني دخلتُ إلى مقاصير النساء .. وما خرَّجتُ
ويطالبونَ بنصب مشنقي ..
لأنني عن شؤون حبيتي .. شعراً كتبتُ
أنا لم أُتاجرْ - مثلَ غيري - بالحشيش ..
ولا سرَّقتُ ..
ولا قَتَلْتُ ..

لكنني .. أَحْبَبْتُ فِي وَضَحِ النَّهَارِ ..
فهل تُراني قد كَفَرْتُ ؟ ؟

* * *

ويقولُ عَنِّي الأَغْيَاءُ :
إِنِّي بِأَشْعَارِي ، خَرَجْتُ عَلَى تَعَالِيمِ السَّمَاءِ
مَنْ قَالَ إِنَّ الْحُبَّ عَدْوَانٌ عَلَى شَرَفِ السَّمَاءِ ؟
إِنَّ السَّمَاءَ صَدِيقَتِي ..
تَبْكِي إِذَا أَبْكِي ..
وَتَضْحَكُ إِنْ ضَحِكْتُ ..

وتَزِيدُ أَنْجُمُهَا بَرِيقاً ..
إِنَّ أَنَا يَوْمًا عَشَقْتُ ..
ماذا .. إِذَا غَنَيْتُ بِاسْمِ حَبِيبَتِي ؟
وَزَرَعْتُهَا فِي كُلِّ عَاصِمَةٍ
كَغَابَةِ كَسْتَنَاءَ ..

* * *

سَأُظِلُّ أَحْتَرِفُ الْمَحَبَّةَ
مِثْلَ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ
وَأُظِلُّ أَحْتَرِفُ الطُّفُولَةَ ، وَالْبَرَاءَةَ
وَالنِّقَاءَ ..

وأظللُ أكتبُ عن شؤون حبيتي
حتى أذوبَ شعراً الذهبيَّ في ذهبِ المساءِ
وأنا - وأرجو أن أظللَ كما أنا -
طفلاً يُخرِبُشُ فوق حيطان النجوم كما يشاءُ
حتى يصيرَ الحبُّ في وطني بمرتبة الهواءِ
وأصيرَ قاموساً لطلابِ الهوى
وأصيرَ فوق شفاههم
ألفاً وباءاً ...

خبرُ وحشیش و قمر

عندما يُولَدُ في الشرق القَمَرُ
 فالسطوحُ البيضُ تغفو
 تحت أكداسِ الزهرِ
 يتركُ الناسُ الحوانيتَ ، ويمضونَ زُمُرَ
 لمُلاقاةِ القَمَرِ ..

يَحْمِلُونَ الْخُبْرَ .. والحاكي .. إلى رأسِ الجبالِ
وَمُعِدَّاتِ الْخَدَرِ
وَيَبِيعُونَ ، ويشرونَ خيالَ
وَصُورَ ..
وَيَمُوتُونَ إِذَا عَاشَ الْقَمَرُ ..

ما الذي يَفْعَلُهُ قُرْصُ ضِيَاء؟
 بيلادي ..
 ببلاد الأنبياء ..
 وبلادِ البُسْطَاء ..
 ماضغي التَبْغ ، وَتُجَارِ الخَدَرُ

ما الذي يفعلُهُ فينا القَمَرُ؟
فَنُضِيعُ الكِبْرِيَاءَ
وَنُعِيشُ لَنُستجدي السماءَ
ما الذي عند السماء؟
لِكسالى ضُعَفَاءَ
يَسْتَحِيلُونَ إلى موتى إذا عاش القَمَرُ

وَيَهْزُونَ قُبُورَ الْأَوْلِيَاءِ
عَلَّهَا تَرَزُّقُهُمْ رُزًّا .. وَأَطْفَالًا ..
قُبُورُ الْأَوْلِيَاءِ
وَيَمْدُونَ السَّجَاجِدَ الْأَنْيَقَاتِ الطُّرَرُ
يَتَسَلُّونَ بِأَفْيُونٍ نُسَمِيهِ قَدَرُ
وَقَضَاء ..
في بلادي ،
في بلاد البُسْطَاء ..

أَيُّ ضَعْفٍ وَانْحِلَالٍ
 يَتَوَلَّانَا إِذَا الضَّوْءُ تَدَفَّقَ
 فَالسَّجَاجِيدُ .. وَآلَافُ السِّلَالِ
 وَقَدَاحُ الشَّاي ..
 وَالْأَطْفَالُ ..
 تَحْتَلُّ التِّلَالُ
 فِي بِلَادِي
 حَيْثُ يَبْكِي السَّادِجُونَ
 وَيَعِيشُونَ عَلَى الضَّوْءِ الَّذِي لَا يُبْصَرُونَ

في بلادي ..
حيثُ يحيا الناسُ من دون عيون ..
حيثُ يبكي الساذجونُ
ويُضِلُّونَ ..
ويَزْنُون ..
ويحيونَ اُتْكالَ
منذُ أن كانوا ..
يعيشونَ اُتْكالَ ..

وَيُنَادُونَ هَلَالَ

« يَا هِلَالَ :

أَيُّهَا النَّبْعُ الَّذِي يُمَطِّرُ مَاسَ

وَحْشِيشًا .. وَنُعَاسَ

أَيُّهَا الرَّبُّ الرُّخَامِيُّ الْمُعَلَّقُ

أَيُّهَا الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ يُصَدَّقُ

دُمْتَ لِلشَّرْقِ .. لَنَا ..

عُنُقُودَ مَاسٍ ..

لِلْمَلَائِكَةِ الَّتِي قَدْ عُطِّلَتْ فِيهَا الْحَوَاسِ .. »

في ليالي الشرق لمَّا يبلغُ البدرُ تَمَامَهُ
يتعرَّى الشرقُ من كُلِّ كَرَامَةٍ

وَنِضَالِ

فالملايينُ التي تركضُ من غيرِ نِعَالٍ
والتي تؤمنُ في أَرْبَعِ زَوَجاتٍ ..
وفي يومِ القِيَامَةِ ..

الملايينُ التي لا تلتقي بالخبزِ إِلَّا في الخيالِ
والتي تسكنُ في الليلِ بيوتاً من سُعالٍ
أبدًا ما عرفتُ شكلَ الدواءِ ..
تردَّى جُثْثًا تحت الضياءِ

في بلادي .. حيث يبكي الأغبياء
 ويموتون بُكاءً
 كلما طالعهم وجهُ الهلالِ
 ويزيدون بُكاءً
 كلما حركهم عُودٌ ذليلٌ .. و« ليالي »
 ذلكَ الموتُ الذي ندعوه في الشرق « ليالي » .. وغناء
 في بلادي في بلاد البُسَطاء
 حيثُ نجتُرُ التواشيحَ الطويلةَ
 ذلكَ السُّلُ الذي يفتكُ بالشرق .. التواشيحُ الطويلةُ
 شَرَقْنَا المُجْتَرَّ تاريخاً وأحلاماً كسُولَةً
 وخرافاتٍ خوالي ..
 شَرَقْنَا الباحثِ عن كُلِّ بُطُولَةٍ
 في أبي زيد الهلالي ..

لندن ١٩٥٤

قصۂ راشیل شوارزنبیغ

أَكْتُبُ للصغار ..
للعرب الصغار حيث يُوجدون
لَهُمْ ،
على اختلاف اللونِ ،
والأعمارِ ،
والعيونِ
أَكْتُبُ للذينَ سوفَ يُولدونَ

لَهُمْ أَنَا أَكْتُبُ ..
لِلصَّغَارِ ..
لَأَعِينَ يَرْكُضُ فِي أَحْدَاقِهَا النَّهَارُ
أَكْتُبُ بِاخْتِصَارٍ
قِصَّةَ إِرْهَابِيَّةٍ مُجَنَّدَةٍ
يَدْعُونَهَا (رَاشِيلُ)
قَضَتْ سَنِينَ الْحَرْبِ فِي زَنْزَانَةٍ مَنفَرِدَةٍ
شَيْدَهَا الْأَلَمَانُ فِي بَرَاغٍ

كان أبوها قَدِيراً من أقدر اليهود
يزورُ النُقُودَ
وهي تديرُ منزلاً للفُحْشِ في براغْ
يقصده الجنودُ ..

* * *

وآلتِ الحربُ إلى ختامٍ
وأُعلِنَ السَّلامُ
ووقعَ الكبارُ
أربعةً .. يلقَّبونَ نفسَهم كِبَارُ
صكَّ وجود الأمم المتَّحدة

* * *

... وَأُبْحَرَتْ مِنْ شَرْقِ أَوْرُوبَا

مَعَ الصَّبَاحِ ...

سَفِينَةٌ تَلْعَنُهَا الرِّيحُ

وَجْهَتُهَا الْجَنُوبُ

تَغْصُ بِالْجُرْذَانِ ، وَالطَّاعُونَ ، وَالْيَهُودُ

كَانُوا خَلِيطًا مِنْ سُقَاطَةِ الشُّعُوبِ

مِنْ أَرْضِ بُولَنْدَا ،

مِنْ النَّمْسَا ..

مِنْ اسْتَمْبُولَ ،

مِنْ بَرَاغْ ..

من آخر الأرض ، من السعير
جاؤوا إلى موطننا الصغير
موطننا المسالِم الصغير
فلطَّخُوا ترابنا
وأعدموا نساءنا
ويتموا أطفالنا
ولا تزالُ الأممُ المتَّحدة
ولم يزل ميثاقُها الخطيرُ
يبحثُ في حريّة الشعوب
وحقُّ تقرير المصير
والمُثلُ المُجرَّدة

* * *

فليذكر الصغار ..
 العربُ الصغارُ حيثُ يُوجدونُ
 من وُلدوا منهم ، ومن (سيولدون)
 قصّة إرهابيّة مجنّده
 يدعونها (راشيل)
 حلّت محلّ أمّي الممدّده
 في أرض بيّارتنا الخضراء في الجليل
 أمّي أنا الذبيحةُ المُستشّهده ..
 وليذكر الصغار ..
 حكاية الأرض التي ضيّعها الكبار ..
 والأممُ المتّحدة ..

* * *

أَكْتُبُ لِلصَّغَارِ
قِصَّةَ بَثْرِ السَّبْعِ ، وَاللَّطْرُونِ ، وَالْخَلِيلِ
هَلْ يَذْكُرُ اللَّيْمُونَ فِي الرَّمْلَةِ ،
فِي اللَّدِّ ..
وَفِي الْجَلِيلِ
أُخْتِي الَّتِي عَلَّقَهَا الْيَهُودُ فِي الْأَصِيلِ
مَنْ شَعَرَهَا الطَّوِيلِ
أُخْتِي أَنَا نُوَارُ
أُخْتِي أَنَا الْهَتِكَةُ الْإِزَارُ

أخيتي التي ما زال جرحُها الطويلُ
ما زال بانتظارُ
نهارِ ثأرٍ واحدٍ ..
نهارِ ثأرٍ ..
على يد الصغارِ
جيلِ فدائيٍّ من الصغارِ
يعرفُ عن نُوارِ
وشعرِها الطويلِ
وقبرِها الضائعِ في الففارِ
أكثرَ مما يعرفُ الكبارُ ..

* * *

أَكْتُبُ للصغارُ
أَكْتُبُ عن يافا ، وعن مرفئها القديمِ
عن بقعةٍ غاليةِ الحجارِ
يُضيءُ بُرْتُقَالُهَا كَخَيْمَةِ النُّجُومِ
تضمُّ قَبْرَ والدي ..
وإخوتي الصغارِ
هل تعرفونَ والدي ؟ .
وإخوتي الصغارُ ؟

إِذْ كَانَ فِي يَافَا لَنَا ، حَديقَةُ وِدَارٍ ..
يَلْفُهَا النِّعِيمُ ..

وَكَانَ وَالِدِي الرَّحِيمُ
مِزارِعاً شَيْخاً يُحِبُّ الشَّمْسَ وَالتُّرَابَ
وَاللَّهَ ، وَالزَّيْتُونَ ، وَالْكُرُومَ
كَانَ يُحِبُّ بَيْتَهُ ..
وَزَوْجَهُ ..

وَالشَّجَرَ الْمُثْقَلَ بِالنُّجُومِ ..

* * *

.. وجاء أغرابٌ مع الغيابِ
من شرقِ أوروبا ..
ومن غياهبِ السجونِ
فَاتَلَفُوا الثمارَ ..
وكسروا الغصونَ
وأشعلوا النيرانَ في بيادر النجومِ
والخمسةُ الأطفالَ في وُجُومِ
والليلُ في وجومِ ..
واشتعلتْ في والذي كرامةُ الترابِ
فصاح فيهم : إذهبوا إلى الجحيمِ
لن تسلبوا أرضيَ يا سُلالةَ الكلابِ ! !

* * *

... وماتَ والدي الرحيمُ
بطلقةٍ سدَّها كلبٌ من الكلابِ
عليه ، ماتَ والدي العظيمُ
في الوطن العظيمِ
وكفُّهُ مشدودةٌ شدًّا إلى التُّرابِ
فليذكرِ الصغارُ
العربُ الصغارُ حيثُ يوجدونُ
مَنْ وُلِدُوا منهمُ .. ومَنْ سَيُولَدُونَ
ما قيمةُ التُّرابِ
لأنَّ في انتظارهمُ معركةَ التُّرابِ ...

رسالةُ جنديٍّ
في جبهة السويس

الرسالة الأولى

١٩٥٦/١٠/٢٩

يا والدي !
هذي الحروفُ الثائرةُ
تأتي إليك من السُّويسِ
تأتي إليك من السُّويسِ الصابرةِ
إني أراها يا أبي ، من خندقي ، سُفُنَ اللُّصُوصِ
محشودةً عند المضيقِ
هل عادَ قُطَاعُ الطريقِ ؟
يتسلَّقُونَ جدارَنَا ..
ويُهدِّدُونَ بقاءَنَا ..
فبلادُ آبائي حَرِيقٌ ..

إِنِّي أَرَاهُمْ ..
يا أباي ، زُرْقَ العيون ..
سُودَ الضمائر ..
يا أباي ، زُرْقَ العيون
قُرْصَانُهُمْ ، عَيْنٌ من البُللور ، جامدةُ الجُفون
والجُنْدُ في سطح السفينة ..
يسْكُرُونَ .. ويشْتُمُونَ ..
فرغتُ براميلُ النبيذ .. ولا يزالُ الساقطون
يتوَعَّدُونَ ..

الرسالة الثانية

١٩٥٦/١٠/٣٠

هذي الرسالةُ يا أبي ..

من بُور سعيد

أمرٌ جديد

لكتيبي الأولى ، ببدء المعركة

هبط المظليون خلف خُطوطنا ..

أمرٌ جديد ..

هبطوا كأرتالِ الجرّادِ ،
كسِرْبِ غربانٍ مُبِيدٍ ..
النصفَ بعدَ الواحدِ ..
وعليَّ أنْ أنْهيَ الرسالةَ
أنا ذاهبٌ لمهمّتي ..
لأردَّ قُطَاعَ الطريقِ ، وسالبي حريّتي ..
لكَ ..
للجميعِ ..
تحيتي ...

الرسالة الثالثة

١٩٥٦/١٠/٣١

.. الآن .. أَفْنَيْنَا فُلُولَ الهابطينُ
أَبْتَاهُ ،

لو شاهدتَهُمْ يتساقطونُ
كثمار مشمشةٍ عجوزٍ ..
يتساقطونُ ..

يتأرجحونُ ..

تحتَ المِظَلَّاتِ الطعينةِ
مثلَ مشنوقٍ تدلَّى في سَكُونٍ ..

وبنادق الشعب العظيم ، تصيدهم
زُرْقَ العيون
لم يبقَ فلاحٌ على محراثِهِ ، إلا وجاء ...
لم يبقَ طفلٌ ، يا أبي ، إلا وجاء ..
لم يبقَ سَكِينٌ .. ولا فأسٌ .. ولا حَجَرٌ على كَتِفِ الطريقِ
إلا وجاء ..
ليرُدَّ قُطَاعَ الطريقِ
ليَخُطَّ حرفاً واحداً ..
حرفاً بمعركة البقاء ..

الرسالة الرابعة

١٩٥٦/١١/١

ماتَ الجرادُ ..
أَبْتَاهُ ، ماتتْ كُلُّ أسرابِ الجرادِ
لم تبقَ سَيِّدَةٌ ..
ولا طِفْلٌ ..
ولا شَيْخٌ قَعِيدٌ
في الرِّيفِ ، في المَدُنِ الكَبِيرَةِ ،
في الصَّعِيدِ ..

إِلَّا وَشَارَكَ يَا أَبِي
فِي حَرْقِ أَسْرَابِ الْجِرَادِ
فِي سَحْقِهِ ،
فِي ذَبْحِهِ حَتَّى الْوَرِيدِ
هَذِي الرِّسَالَةُ ، يَا أَبِي ، مِنْ بَوْرٍ سَعِيدٍ .
مِنْ حَيْثُ تَمْتَزَجُ الْبَطُولَةُ بِالْجِرَاحِ وَبِالْحَدِيدِ
مِنْ مَصْنَعِ الْأَبْطَالِ أَكْتُبُ يَا أَبِي ..
مِنْ بَوْرٍ سَعِيدٍ ..

جميلة بو حيرد

الإِسْمُ : جَمِيلَةٌ بُوَحَيْرَدُ
 رَقْمُ الزَّنْزَانَةِ : تِسْعُونَا
 فِي السَّجْنِ الْحَرْبِيِّ بُوَهْرَانُ
 وَالْعَمْرُ : إِثْنَانِ وَعِشْرُونَا
 عَيْنَانِ كَقَنْدِيلِي مَعْبَدُ
 وَالشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْأَسْوَدُ
 كَالصَّيْفِ ، كَشَلَالِ الْأَحْزَانِ

إبريقٌ للماء .. وسجّانٌ
ويدٌ تنضمُّ على القرآن
وامرأةٌ في ضوء الصُّبح ..
تسترجعُ في مثل البوحِ
آياتٍ مُحزِنةَ الإرنانِ
مِنْ سُورَةِ (مَرِيَمَ) ..
و (الفَتْحِ) ...

الإِسْمُ : جَمِيلَةٌ بُو حَيْرَدُ
 أَجْمَلُ أُغْنِيَةٍ فِي الْمَغْرِبِ
 أَطُولُ نَخْلَةٍ
 لَمَحْتَهَا وَاحَاتُ الْمَغْرِبِ
 أَجْمَلُ طِفْلَةٍ
 أَتَعَبَتِ الشَّمْسُ ، وَلَمْ تَتْعَبْ
 يَا رَبِّي . هَلْ تَحْتَ الْكَوْكَبِ ؟
 يَوْجِدُ إِنْسَانُ
 يَرْضَى أَنْ يَأْكُلَ .. أَنْ يَشْرَبَ
 مِنْ لَحْمِ مُجَاهِدَةٍ تُصَلِّبُ ..

أضواء (الباستيل) ضئيلة
 وسُعالُ امرأةٍ مَسْلُولةٍ
 أَكَلَتْ من رثتها الأغلالُ
 أَكَلَ الأُنْدالُ ..
 (لاكوستُ) ، وآلافُ الأُنْدالِ
 من جيشِ فرنسا المغلوبةِ
 انتَصَرُوا الآنَ على أنثى ..
 أنثى كالشمعةِ مصلوبةِ

القَيْدُ يَعْضُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ
وَسَجَائِرُ تُطْفَأُ فِي النَّهْدَيْنِ
وَدَمٌ فِي الْأَنْفِ ..
وَفِي الشَّفَتَيْنِ ..
وَجِرَاحُ جَمِيلَةٌ بُو حَيْرُذُ
هِيَ وَالتَّحْرِيرُ .. عَلَى مَوْعِدٍ ..

مِقْصَلَةٌ تُنْصَبُ .. والأشْرَارُ
يلْهَوْنَ بِأُنْثَى دُونَ إِزَارِ
وَجَمِيلَةٍ ، بين بِنَادِقِهِمْ
عَصْفُورٌ فِي وَسْطِ الْأَمْطَارِ ..
الْجَسَدُ الْخَمْرِيُّ الْأَسْمَرُ
تَنْفُضُهُ لِمَسَاتُ التِّيَّارِ
وَحُرُوقٌ فِي الثَّدي الْأَيْسَرِ
فِي الْحَلْمَةِ ..
فِي .. فِي .. يَا لِلْعَارِ ..

الإِسْمُ : جميلةُ بو حَيْرَدُ
 تاريخُ ترويهِ بلادي
 يحفظهُ بعدي أولادي
 تاريخُ امرأةٍ من وطني
 جَلَدْتُ مقصلةَ الجَلَّادِ ..

إمْرَأَةٌ دَوَّخَتْ الشَّمْسَا
جَرَحَتْ أَبْعَادَ الْأَبْعَادِ
ثَائِرَةٌ مِنْ جِبِلِّ الْأُطْلَسِ
يَذْكُرُهَا اللَّيْلُ وَالنَّجَسُ
يَذْكُرُهَا زَهْرُ الْكِبَادِ ..
مَا أَصْغَرَ (جَانُ دَارُكَ) فَرَنْسَا
فِي جَانِبِ (جَانُ دَارُكَ) بِلَادِي ...

الحبُّ والبتول

متى تَفْهَمُ؟
 متى يا سيدي تَفْهَمُ؟
 بأنني لستُ واحدةً ..
 كغيري ، من صديقاتك
 ولا فَتْحاً نَسائياً يُضَافُ إلى فَتوحاتك
 ولا رَقْماً من الأرقام .. يَعْبُرُ في سِجِلَّاتِكَ
 متى تَفْهَمُ؟

متى تفهم؟

أيا جملاً من الصحراء لم يلجم ..
ويا من يأكل الجُدريُّ منك الوجهَ والمِعصم ..
بأنِّي لن أكونَ هنا ..
رماداً في سجاتِك

ورأساً .. بين آلاف الرؤوس على مخداتِك
وتمثالاً تزيدُ عليه في حُمى مزاداتِك ..
ونهداً فوق مرمرِه .. تسجلُ شكْلَ بصماتِك ..
متى تفهم؟

متى تفهم؟
 بأنك لن تُخدّرني ..
 بجاهلك ، أو إماراتك ..
 ولنْ تملك الدنيا ..
 بنفطك .. وامتيازاتك
 وبالبتروول ، يعبقُ من عباءاتك
 وبالعرّباتِ تطرحُها على قَدَمي عشيقاتك
 بلا عَدَدٍ .. فأينَ ظُهور ناقاتك ؟ .

وَأَيْنَ الْوَشْمُ فَوْقَ يَدَيْكَ ؟
أَيْنَ ثُقُوبُ خِيَمَاتِكَ ؟
أَيَا مُتَشَقِّقَ الْقَدَمَيْنِ .. يَا عَبْدَ انْفَعَالَاتِكَ
وَيَا مَنْ صَارَتِ الزَّوْجَاتُ بَعْضًا مِنْ هَوَايَاتِكَ
تُكَدِّسُهُنَّ بِالْعَشْرَاتِ فَوْقَ فِرَاشٍ لَذَاتِكَ ..
تُحَنِّطُهُنَّ كَالْحَشَرَاتِ ..
فِي جدرانِ صَلَاتِكَ ..
مَتَى تَفْهَمُ ؟

متى يا أيها المُتَخَم؟
 متى تَفْهَم؟
 بأنِّي لستُ من تَهْتَمُ
 بِناركِ أو بِجَنَاتِكَ
 وأن كرامتي أَكْرَمُ
 من الذَّهَبِ المَكْدُوسِ بين راحاتِكَ
 وأن مناخَ أفكاري ، غريبٌ عن مناخاتِكَ
 أيا مَنْ فَرَّخَ الإِقْطاعُ في ذَرَّاتِ ذَرَّاتِكَ
 ويا مَنْ تَخَجَّلُ الصَّحراءُ حتَّى من مناداتِكَ
 متى تَفْهَم؟

تَمَرَّغْ يا أَمِيرَ النَفْطِ ..
فَوْقَ وُحُولٍ لِدَاثِكَ
كَمَمَسَحَةٍ ..

تَمَرَّغْ فِي ضَلَالَاتِكَ
لَكَ الْبَتْرُولُ ، فَاعْصُرُهُ
عَلَى قَدَمَيْ خَلِيلَاتِكَ
كَهَوفُ اللَّيْلِ فِي بَارِيسَ قَدْ قَتَلَتْ مُرُوءَاتِكَ ..
عَلَى أَقْدَامِ مَوْمَسَةٍ هُنَاكَ ..
دَفَنْتَ ثَارَاتِكَ ..

فَبِعْتَ الْقُدُسَ ..
بِعْتَ اللَّهَ ..
بِعْتَ رِمَادَ أَمْوَاتِكَ
كَأَنَّ حِرَابَ إِسْرَائِيلَ لَمْ تُجْهِضْ شَقِيقَاتِكَ
وَلَمْ تَهْدُمْ مَنَازِلَنَا ..
وَلَمْ تُحْرِقْ مَصَاحِفَنَا ..
وَلَا رَايَاتُهَا ارْتَفَعَتْ ..
عَلَى أَشْلَاءِ رَايَاتِكَ ..

كَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ صُلِبُوا ..
على الأشجار في يافا .. وفي حيفا ..
وبثر السَّبع .. ليسوا من سُلالاتِكَ
تغوصُ القدسُ في دمها ،
وأنتَ صريعُ شَهواتِكَ
تنامُ .. كأنما المأساةُ ليستَ بعضَ مأساتِكَ
متى تفهَمُ ؟
متى يستيقظُ الإنسانُ في ذاتِكَ ؟

١٩٥٨

هوامشُ ..
على دفتر النكسة

أَنعِي لَكُمْ ، يَا أَصْدِقَائِي ، اللُّغَةَ الْقَدِيمَةَ
 وَالْكِتَابَ الْقَدِيمَةَ
 أَنعِي لَكُمْ :
 كَلَامَنَا الْمَشْقُوبَ كَالْأَحْذِيَةِ الْقَدِيمَةَ
 وَمُفْرَدَاتِ الْعُهْرِ ، وَالْهَجَاءِ ، وَالشَّتِيمَةِ ..
 أَنعِي لَكُمْ ..
 أَنعِي لَكُمْ ..
 نِهَايَةَ الْفِكْرِ الَّذِي قَادَ إِلَى الْهَزِيمَةِ .

مَالِحَةٌ فِي فَمِنَا الْقَصَائِدُ
 مَالِحَةٌ ضِفَائِرُ النِّسَاءِ
 وَاللَّيْلُ ، وَالْأَسْتَارُ ، وَالْمَقَاعِدُ
 مَالِحَةٌ أَمَامَنَا الْأَشْيَاءُ ..

يا وَطَنِي الحزينُ
حوَّلَتْنِي بلحظةٍ

من شاعرٍ يَكْتُبُ شِعْرَ الحُبِّ والحنينِ
لشاعرٍ يَكْتُبُ بالسِّكِّينِ ..

لأنَّ ما نُحِثُّهُ
 أَكْبَرُ من أوراقنا ..
 لا بُدَّ أن نَخْجَلَ من أشعارنا

إِذَا خَسِرْنَا الْحَرْبَ ، لَا غَرَابَةَ
 لِأَنَّا نَدْخُلُهَا
 بِكُلِّ مَا يَمْلِكُهُ الشَّرْقِيُّ مِنْ مَوَاهِبِ الْخِطَابَةِ
 بِالْعَنْتَرِيَّاتِ الَّتِي مَا قَتَلَتْ ذُبَابَهُ
 لِأَنَّا نَدْخُلُهَا
 مِمَّنْطِقِ الطَّبَلَةِ وَالرَّبَابَةِ ..

السِرُّ في مأسَاتِنَا
 صرَاخُنَا أَضْخَمُ من أَصْوَاتِنَا
 وسيفُنَا ..
 أطْوَلُ من قَامَاتِنَا ..

خُلَاصَةُ الْقَضِيَّةِ
 تُوجَزُ فِي عِبَارَةٍ
 لَقَدْ لَبِسْنَا قِشْرَةَ الْحَضَارَةِ
 وَالرُّوحُ جَاهِلِيَّةٌ ...

بالنأي والمزمار
لا يحدثُ انتصارٌ...

كَلَّفْنَا ارْتِجَالُنَا
خَمْسِينَ أَلْفَ خَيْمَةٍ جَدِيدَةٍ ..

لَا تَلْعَنُوا السَّمَاءَ
 إِذَا تَخَلَّتْ عَنْكُمْ
 لَا تَلْعَنُوا الظُّرُوفَ
 فَإِنَّهُ يُؤْتِي النَّصْرَ مَنْ يَشَاءُ
 وَلَيْسَ حَدَّادًا لِدَيْكُمْ ..
 يَصْنَعُ السُّيُوفَ ..

يُوجِعُنِي أَنَّ أَسْمَعَ الْأَنْبَاءَ فِي الصَّبَاحِ
يُوجِعُنِي ..
أَنَّ أَسْمَعَ النَّبَاحِ ...

ما دَخَلَ الْيَهُودُ مِنْ حُدُودِنَا
وَأِنَّمَا ..
تَسَرَّبُوا كَالنَّمْلِ مِنْ عُيُونِنَا ..

خَمْسَةُ آلَافِ سَنَةٍ ..
 وَنَحْنُ فِي السِّرْدَابِ
 ذُقُونَا طَوِيلَةَ
 نُقُودِنَا مَجْهُولَةَ
 عَيُونُنَا مَرَايِيءَ الدُّبَابِ ..

يا أصدقائي :
جَرِّبُوا أَنْ تَكْسِرُوا الْأَبْوَابَ
أَنْ تَغْسِلُوا أَفْكَارَكُمْ
وَتَغْسِلُوا الْأَثْوَابَ
يا أصدقائي :
جَرِّبُوا أَنْ تَقْرَأُوا كِتَابَ ..
أَنْ تَكْتُبُوا كِتَابَ ..

أن تزرعوا الحُرُوفَ ..
والرُمَّانَ ..
والأُغْنَابَ ..
أن تُبحِروا إلى بلاد الثلج والضباب
فالناسُ يجهلونكم ..
في خارج السِرْدَابِ
الناسُ يحسبونكم
نوعاً من الذئاب ...

جُلُودُنَا مَيِّتَةٌ الْإِحْسَاسُ
 أَرْوَاحُنَا تَشْكُو مِنَ الْإِفْلَاسِ
 أَيَّامُنَا تَدُورُ بَيْنَ الزَّارِ ..
 وَالشَّطَرَنْجِ ..
 وَالنُّعَاسِ ..
 هَلْ (نَحْنُ خَيْرُ أُمَّةٍ قَدْ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ؟ ؟

كَانَ بُوسَعُ نَفْطِنَا الدَافِقِ فِي الصَّحَارِي
 أَنْ يَسْتَحِيلَ خَنْجَرًا ..
 مِنْ لَهَبٍ وَنَارٍ
 لَكِنَّهُ ..

وَاخْجَلَّةَ الْأَشْرَافِ مِنْ قُرَيْشٍ
 وَخَجَلَّةَ الْأَحْرَارِ مِنْ أَوْسٍ وَمِنْ نِزَارٍ
 يُرَاقُ تَحْتَ أَرْجُلِ الْجَوَارِي ..

نركُضُ في الشوارعِ
 نحملُ تحتَ إبطنا الحبالا
 نمارسُ السَّحْلَ بلا تبصُّرٍ
 نحطُّمُ الزجاجَ والأقفالا
 نمدحُ كالضفادعِ
 نشتمُ كالضفادعِ

نَجْعَلُ مِنْ أَقْرَامِنَا أَبْطَالَا
نَجْعَلُ مِنْ أَشْرَافِنَا أَنْذَالَا
نَرْتَجِلُ الْبَطُولَةَ ارْتِجَالَا
نَقْعُدُ فِي الْجَوَامِعِ
تَنَابِلًا ، كُسَالَى
نُشَطِّرُ الْأَبْيَاتَ ، أَوْ نُوَلِّفُ الْأُمَثَالَ
وَنَشْحَذُ النُّصْرَ عَلَى عَدُوِّنَا
مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى ...

لو أَحَدٌ يَمْنَحُنِي الأَمَانَ
لو كُنْتُ أَستطِيعُ أَنْ أَقَابِلَ السُّلْطَانَ
قُلْتُ لَهُ :

يَا سَيِّدِي السُّلْطَانَ
كِلَابُكَ المَفْتَرِسَاتُ مَزَقَتْ رِدَائِي
وَمُخْبِرُوكَ دَائِمًا وَرَائِي ..

عُيُونُهُمْ وَرَائِي ..
أُنُوفُهُمْ وَرَائِي ..
أَقْدَامُهُمْ وَرَائِي ..
يَسْتَجُوبُونَ زَوْجَتِي ..
وَيَكْتُبُونَ عِنْدَهُمْ أَسْمَاءَ أَصْدِقَائِي ..
يَا حَضْرَةَ السُّلْطَانِ
لَأَنْتِي اقْتَرَبْتُ مِنْ أَسْوَارِكَ الصَّمَاءِ ..
لَأَنْتِي حَاوَلْتُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْ حُزْنِي وَعَنْ بِلَاثِي
ضُرْبْتُ بِالْحِذَاءِ ..

أَرْغَمَنِي جُنْدُكَ أَنْ آكُلَ مِنْ حِذَائِي ..
يا سيدي .. يا سيدي السلطان
لقد خسرتَ الحربَ مرتين
لأنَّ نصفَ شعبنا ليس له لِسَانُ
ما قيمةُ الشعبِ الذي ليس له لِسَانُ ؟
لأنَّ نصفَ شعبنا محاصرٌ كالنملِ والجُرُذَانِ
في داخلِ الجدرانِ ..

لو أحدٌ يمنحني الأمانُ
من عسكر السلطانُ
قلتُ لهُ : يا حضرة السلطانُ
لقد خسرتَ الحربَ مرتينِ
لأنَّكَ انفصلتَ عن قضيَّة الإنسانُ

لو أَنَّنَا لم نَدْفِنِ الوَحْدَةَ فِي التُّرَابِ
 لو لم نُمزِّقْ جِسْمَهَا الطَّرِيَّ بِالْحِرَابِ
 لو بَقِيَتْ فِي دَاخِلِ الْعَيُونِ وَالْأَهْدَابِ
 لما اسْتَبَاحَتْ لِحْمَنَا الْكِلابِ ..

نريدُ جيلاً غاضباً
نريدُ جيلاً يَفْلَحُ الآفاقُ
وينكشُ التاريخَ من جُذُورِهِ
وينكشُ الفكرَ من الأعماقِ
نريدُ جيلاً قادماً مختلفَ الملامحِ
لا يغفرُ الأخطاءَ .. لا يُسامحُ
لا ينحني .. لا يعرفُ النفاقَ ..
نريدُ جيلاً ، رائداً ، عملاقاً ..

يا أيُّها الأطفالُ :
 من المحيط للخليج ، أنتمُ سنابلُ الآمالِ
 وأنتمُ الجيلُ الذي سيكسرُ الأغلالَ
 ويقتلُ الأفيونَ في رؤوسنا
 ويقتلُ الخيالَ ..

يا أيها الأطفالُ :
أنتم - بعدُ - طيبون
وطاهرون ، كالندى والثلج ، طاهرون
لا تقرأوا عن جيلنا المهزوم ، يا أطفالُ
فنحنُ خائبون
ونحنُ ، مثل قشرة البطيخ ، تافهون
ونحنُ منخُورون ..
منخُورون ..
منخُورون كالنعال ..

لا تقرأوا أخبارنا
لا تقبلوا أفكارنا
لا تقتفوا آثارنا
فنحنُ جيلُ القيء .. والزُّهريِّ .. والسُّعالِ ..
ونحنُ جيلُ الدُّجلِ ، والرقصِ على الجبالِ
يا أيُّها الأطفالُ :
يا مَطَرَ الربيعِ ، يا سنابلَ الآمالِ
أنتمُ بذورُ الخصبِ في حياتنا العقيمة
وأنتمُ الجيلُ الذي سيهزمُ الهزيمةَ

١٩٦٧

المعتلون

حِينَ يَصِيرُ الْفِكْرُ فِي مَدِينَةٍ
 مُسَطَّحًا كَحَدْوَةِ الْحِصَانِ
 مُدَوَّرًا كَحَدْوَةِ الْحِصَانِ
 وَتَسْتَطِيعُ أَيُّ بَنْدُوقَةٍ يَرْفَعُهَا جَبَانُ
 أَنْ تَسْحَقَ الْإِنْسَانَ

حين تصيرُ بِلْدَةً بِأَسْرَهَا
مَصِيدَةً .. والناسُ كالْفُثْرَانُ
وتُصْبِحُ الجُرَائِدُ الْمُوجَهَةُ
أوراقَ نَعْيٍ تَمْلَأُ الحَيَاطَانُ
يَمُوتُ كُلُّ شَيْءٍ ..
يَمُوتُ كُلُّ شَيْءٍ ..
الماءُ ، والنباتُ ، والأصواتُ ، والألوانُ
تَهْجُرُ الأشجارُ من جُذُورِهَا
يَهْرُبُ من مكانه المكانُ
وينتهي الإنسانُ

حينَ يصيرُ الحَرْفُ في مدينةٍ
 حَشِيشَةً يَمْنَعُهَا القَانُونُ
 ويصبحُ التفكيرُ
 كالبَغَاءِ ..
 واللُّواطِ ..
 والأفيونِ ..
 جريمةً يَطَالُهَا القَانُونُ ..

حين يصيرُ الناسُ في مدينةٍ
ضفادعاً مفقوءةَ العُيونِ
فلا يثورونَ ولا يشكونَ
ولا يُغنُّونَ ولا يبكونَ
ولا يموتونَ ولا يحيونَ
تُحترقُ الغاباتُ ، والأطفالُ ، والأزهارُ
تُحترقُ الثمارُ
ويُصبحُ الإنسانُ في موطنِهِ
أذلَّ من صرَّ صارَ ..

حين يصيرُ العدلُ في مدينةٍ
 سفينةً يركبُها قُرُصانُ
 ويصبحُ الإنسانُ في سريره
 مُحاصَراً ، بالخوف والأحزان
 حينَ يصيرُ الدمعُ في مدينةٍ
 أكبرَ من مساحة الأجفانِ

يسقطُ كلُّ شيءٍ

الشمسُ ..

والنجومُ ..

والجبالُ ..

والوديانُ ..

والليلُ ، والنهارُ ، والبحارُ ، والشيطانُ ..

واللهُ ..

والإنسانُ ..

حينَ تصيرُ خُوْدَةً
 كالربِّ في السَّمَاءِ
 تصنعُ بالعباد ما تشاءُ
 تَمَعْسُهُمْ ..
 تَهْرَسُهُمْ ..
 تُمِيتُهُمْ ..
 تَبْعَثُهُمْ ..
 تصنعُ بالعباد ما تشاءُ

حين يصيرُ الحُكْمُ في مدينةٍ

نوعاً من البَغَاءِ

ويصبحُ التاريخُ في مدينةٍ

مَمْسَحَةً ..

والفِكْرُ كالْحِذَاءِ

حين تصيرُ نَسْمَةُ الهِوَاءِ

تَأْتِي بِمَرْسُومٍ مِنَ السُّلْطَانِ

وَحَبَّةُ الْقَمْحِ الَّتِي نَأْكُلُهَا
تَأْتِي بِمَرْسُومٍ مِنَ السُّلْطَانِ
وَقَطْرَةُ الْمَاءِ الَّتِي نَشْرِبُهَا
تَأْتِي بِمَرْسُومٍ مِنَ السُّلْطَانِ
حِينَ تَصِيرُ أُمَّةٌ بِأَسْرَهَا
مَاشِيَةً تُعْلَفُ فِي زُرِّيَّةِ السُّلْطَانِ
يَخْتَنِقُ الْأَطْفَالُ فِي أَرْحَامِهِمْ
وَتُجْهَضُ النِّسَاءُ ..
وَتَسْقُطُ الشَّمْسُ عَلَى سَاحَاتِنَا
مَشْنَقَةً سَوْدَاءَ ..

متى سترحلون؟
 المسرحُ انهارَ على رؤوسكمُ
 متى سترحلون؟
 والناسُ في القاعة يشتمون .. يبصقون ..
 كانت فلسطينُ لكمُ
 دجاجةً ، من بيضِها الثمينِ تأكلون ..
 كانت فلسطينُ لكمُ
 قميصَ عثمانَ الذي به تتاجرون

طُوبَى لَكُمْ ..
على يديكمُ أصبحتُ حدودُنا
من وَرَقٍ ...
فألفُ تُشْكِرُونَ ..
على يديكمُ أصبحتُ بلادُنا
إمْرَأَةً مُبَاحَةً ..
فألفُ تُشْكِرُونَ ..

حربٌ حُزِرَ أَنْ انْتَهَتْ ..
 فكلُّ حربٍ بعدها ، ونحنُ طيّبُونَ ..
 أخبارُنا جيِّدةٌ
 وحالُنا - والحمدُ لله - على أحسنِ ما يكونُ ..
 جَمْرُ التراجيلِ .. على أحسنِ ما يكونُ
 وطاولاتُ الزهر - ما زالت -
 على أحسنِ ما يكونُ
 والقَمَرُ المزروعُ في سماءِنا
 مُدَوَّرُ الوجهِ ، على أحسنِ ما يكونُ ..

وصوتُ فيروزَ ،
من الفردوس يأتي ،
« نحنُ راجعونُ » ..
تَغْلَغَلُ اليهودُ في ثيابنا
و« نحنُ راجعونُ » ..
صاروا على مترينِ من أبوابنا
و« نحنُ راجعونُ » ..
ناموا على فراشنا ..
و« نحنُ راجعونُ » ..
وكلُّ ما نملكُ أن نقوله
« إِنَّا إِلَى اللَّهِ لَرَاجعُونَ » ..

حربٌ حزينان انتهت ..
 وحالنا - والحمد لله - على أحسن ما يكون
 كُتِّبْنَا على رصيف الفكر عاطلون
 من مطبخ السلطان يأكلون
 بسيفه الطويل يضربون
 كُتِّبْنَا ، ما مارسوا التفكير من قُرُون
 لم يُقْتَلُوا ..
 لم يُضْلَبُوا ..
 لم يقفوا على حدود الموت والجنون

كُتَبْنَا يَحْيُونَ فِي إِجَازَةٍ
وَخَارَجَ التَّارِيخَ يَسْكُنُونَ ..
حَرْبُ حَزِيرَانَ انْتَهَتْ
جَرَائِدُ الصَّبَاحِ ، مَا تَغَيَّرَتْ
الْأَحْرُفُ الْكَبِيرَةُ الْحُمْرَاءُ .. مَا تَغَيَّرَتْ
الصُّورُ الْعَارِيَةُ النِّكَرَاءُ .. مَا تَغَيَّرَتْ
وَالنَّاسُ يَلْهَثُونَ ..
تَحْتَ سَيَاطِ الْجَنْسِ يَلْهَثُونَ
تَحْتَ سَيَاطِ الْأَحْرِفِ الْكَبِيرَةِ الْحُمْرَاءِ .. يَسْقُطُونَ ..
النَّاسُ كَالثِّيرَانِ فِي بِلَادِنَا ..
بِالْأَحْمَرِ الْفَاقِعِ يُؤْخَذُونَ ..

حربُ حُزيرانَ انتهتْ ..
 وضاعَ كُلُّ شَيْءٍ ..
 الشرفُ الرفيعُ ،
 والقلاعُ ، والحصونُ
 والمالُ ، والبنونُ ..
 لكنّا ...
 باقونَ في محطّةِ الإذاعةِ ..

« فاطمة تُهدي إلى والدها سلامها .. »
« وخالدُ يسألُ عن أعمامِهِ في غَزّةِ .. »
« وأين يقطنون ؟ . »
« نفيسةٌ قد وضعتُ مولودَها .. »
« وسامرٌ حازَ على شهادة الكفاءة .. »
« فطمثونا عنكم .. »
« عنواننا المخيمُ التسعون .. »

حربُ حَزِيرَانَ انتَهَتْ ..
 كأنَّ شيئاً لم يَكُنْ ..
 لم تختلفْ أَمَامَنَا الوجوهُ والعُيُونُ ..
 محاكُمُ التفتيشِ عادتْ .. والمفتشُونَ ..
 والدونكشوتيونَ .. ما زالوا يُشَخَّصُونَ
 والناسُ من صُعوبةِ البكاءِ ..
 يضحكونَ ..

ونحنُ قَانِعُونَ ..
بالحربِ قَانِعُونَ .. والسِّلْمِ قَانِعُونَ ..
بالحرِّ قَانِعُونَ .. والبرِّدِ قَانِعُونَ ..
بالعُقْمِ قَانِعُونَ .. والنَّسْلِ قَانِعُونَ ..
بكلِّ ما في لَوْحِنَا المحفوظِ في السماء ..
قَانِعُونَ ..
وكلُّ ما نملكُ أن نقولهُ :
« إِنَّا إِلَى اللَّهِ لَرَاغِبُونَ » ...

إحترق المَسْرَحُ من أركانِهِ
ولم يَمُتْ - بَعْدُ - الممثلُونَ ..

١٩٦٨

الإستجاب

مَنْ قَتَلَ الْإِمَامَ ؟
 الْمُخْبِرُونَ يَمْلَأُونَ غُرْفَتِي
 مَنْ قَتَلَ الْإِمَامَ ؟
 أَحْذِيهِ الْجُنُودُ فَوْقَ رَقَبَتِي
 مَنْ قَتَلَ الْإِمَامَ ؟

مَنْ طَعَنَ الدَّرُوشَ صَاحِبَ الطَّرِيقَةِ ؟
وَمَزَّقَ الْجُبَّةَ ..
وَالكُشْكُولَ ..
وَالْمَسْبَحَةَ الْأَنِيقَةَ ..
يَا سَادَتِي :
لَا تَقْلَعُوا أَظَافِرِي ..
بَحْثًا عَنِ الْحَقِيقَةِ ..
فِي جُثَّةِ الْقَتِيلِ ، دَوْمًا ، تَسْكُنُ الْحَقِيقَةُ

مَنْ قَتَلَ الْإِمَامَ ؟
 عَسَاكِرُ بِكَامِلِ السِّلَاحِ يَدْخُلُونَ ..
 عَسَاكِرُ بِكَامِلِ السِّلَاحِ يَخْرُجُونَ
 حَاضِرٌ ..
 آلَاتُ تَسْجِيلٍ ..
 مُصَوِّرُونَ ..

يا سادتي :
ما البُفْعُ من إفادتي ؟
ما دمتُم ..
- إن قُلْتُ أو ما قُلْتُ -
سوفَ تكتبُون ..
ما تنفعُ استغاثتي ؟ .
ما دمتُم ..
- إن قُلْتُ أو ما قُلْتُ -
سوفَ تضربُون ..
ما دمتُم منذُ حكمتُم بِلدي
عَنِّي تُفكرُون !!!

لستُ شُيُوعِيًّا ..
 - كما قيل لَكُمْ - يا سادتي الكِرَامُ
 ولا يَمِينِيًّا ..
 - كما قيل لَكُمْ - يا سادتي الكِرَامُ
 مَسْقَطُ رَأْسِي فِي دَمَشَقَ الشَّامِ ..
 هل واحدٌ من بينكُمْ
 يعرفُ أينَ الشَّامُ ؟

هل واحدٌ من بينكم
أدمنَ سُكنى الشام؟
رواهُ ماءُ الشام ..
كواهُ عِشقُ الشام ..
تأكّدوا يا سادتي
لن تجدوا في كلّ أسواق الورود ، وردةً كالشام
وفي دكاكين الحلّى جميعها ..
لؤلؤةً كالشام
لن تجدوا ..
مدينةً حزينّةً العَيْنَيْنِ مثل الشام ..

لستُ عميلاً قَدِيراً ..
 كما يقولُ مُخبرٌ وكُمنٌ ، سادتي الكرامُ
 ولا سَرَقْتُ قمحةً ..
 ولا قَتَلْتُ نَمْلَةً ..
 ولا دخلتُ مركزَ البوليسِ يوماً ،
 سادتي الكرامُ ..
 يعرفني في حارتي الصغيرُ والكبيرُ .
 يعرفني الأطفالُ .. والأشجارُ .. والحَمَامُ ..

وأنبياء الله يعرفونني
عليهم الصلاة والسلام
الصلوات الخمس لا أقطعها ..
يا سادتي الكرام
وخطبة الجمعة لا تفوتني
يا سادتي الكرام
من رُبِّعِ قرْنٍ وأنا ..
أُمارسُ الركوعَ والسُّجودَ
أُمارسُ القيامَ والقُعودَ

أُمارسُ التَّشْخِصَ خَلْفَ حَضْرَةِ الْإِمَامِ
يَقُولُ : (اللَّهُمَّ اِمْحَقْ دَوْلَةَ الْيَهُودِ)
أَقُولُ : (اللَّهُمَّ اِمْحَقْ دَوْلَةَ الْيَهُودِ)
يَقُولُ : (اللَّهُمَّ شَتِّ شَمَلَهُمْ)
أَقُولُ : (اللَّهُمَّ شَتِّ شَمَلَهُمْ)
يَقُولُ : (اللَّهُمَّ اِقْطَعْ نَسْلَهُمْ)
أَقُولُ : (اللَّهُمَّ اِقْطَعْ نَسْلَهُمْ)
يَقُولُ : (اَغْرِقْ حَرَثَهُمْ وَزَرْعَهُمْ)
أَقُولُ : (اَغْرِقْ حَرَثَهُمْ وَزَرْعَهُمْ)

وهكذا ، يا سادتي الكرام
قضيتُ عشرينَ سنَّة
أعيشُ في حظيرة الأغنام
أُغلفُ كالأغنام
أنامُ كالأغنام
أبولُ كالأغنام
أدورُ كالحبَّة في مَسْبَحَةِ الإمام
لا عقلَ لي ..
لا رأسَ ..
لا أقدامَ ..

أَسْتَنْشِقُ الزُّكَامَ مِنْ لَحِيتهِ
وَالسُّلَّ فِي الْعِظَامِ
قَضَيْتُ عَشْرِينَ سَنَةً
مُكُومًا كَرَزِمَةَ الْقَشِّ عَلَى السُّجَّادَةِ الْحَمْرَاءِ ..
أَجْلَدُ كُلَّ جُمُعَةٍ بِخُطْبَةٍ غَرَّاءِ
أَبْتَلِعُ الْبَيَانَ ..
وَالْبَدِيعَ ..
وَالْقِصَائِدَ الْعِصْمَاءَ ..
أَبْتَلِعُ الْهَرَاءَ ...
عَشْرِينَ عَامًا .. وَأَنَا يَا سَادَتِي
أَسْكُنُ فِي طَاحُونَةٍ
مَا طَحَنْتُ قَطُّ سِوَى الْهَوَاءِ ..

يا سادتي :
 بِخَنْجَرِي هَذَا الَّذِي تَرَوْنَهُ
 طَعَنْتُهُ فِي صَدْرِهِ وَالرَّقَبَةَ
 طَعَنْتُهُ فِي عَقْلِهِ الْمُنْخُورِ مِثْلَ الْخَشَبَةِ
 طَعَنْتُهُ بِاسْمِي أَنَا ..
 وَاسْمِ الْمَلَائِكِينَ مِنَ الْأَغْنَامِ

يا سادتي :
أعرفُ أن تُهَمَّتِي ..
عِقَابُهَا الإِعدامُ ..
لكنني ..
قَتَلْتُ إِذْ قَتَلْتُهُ
كُلَّ الصراصير التي تُنْشِدُ في الظلامِ
والمستريحينَ على أرصفةِ الأحلامِ
قَتَلْتُ إِذْ قَتَلْتُهُ
كُلَّ الطُفَيلَيَّاتِ في حديقةِ الإسلامِ

كُلَّ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ مِنْ دُكَّانَةِ الْإِسْلَامِ
قَتَلْتُ إِذْ قَتَلْتُهُ ..

يا سادتي الكرام
كُلَّ الَّذِينَ مِنْذُ أَلْفِ عَامٍ
يَزُنُّونَ بِالْكَلامِ ...

١٩٦٨

فَنَـشِـخْ

... وبعدهما قُتِلْنَا ..
 وبعدهما صَلَّوْا عَلَيْنَا ،
 بعدهما دُفِنَا ..
 وبعدها أَنْ تَكَلَّسَتْ عِظَامُنَا
 وبعدها أَنْ تَخْشَبَتْ أَقْدَامُنَا
 وبعدهما اهْتَزَّ أُنَا ..

وبعدَ ، أن جُعْنَا وأن عطِشْنَا
وبعدَ ، أن تُبْنَا وأن كَفَرْنَا ..
وبعدمَا .. وبعدمَا ..
من يَأْسِنَا يِشْنَا ..
جاءتْ إلينا (فَتَحْ)
كوردةٍ جميلةٍ طالعةٍ من جُرْحٍ ..
كنبع ماءٍ باردٍ يروي صحارى ملح
وفجأةً .. ثرنا على أكفاننا ، وقُمْنَا ..
وفجأةً ،
كالسَيِّدِ المَسِيحِ .. بعد موتنا نَهَضْنَا ..

مهما هم تأخروا ، فإنهم يأتون
 في حبة الحنطة ..
 أو في حبة الزيتون ..
 يأتون في الأشجار ، والرياح ، والغصون .
 يأتون في كلامنا ..
 يأتون في أصواتنا ..
 يأتون في دموع أمهاتنا
 في أعين الغالين من أمواتنا ..

مهما هُمُ تَأَخَّرُوا .. فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ
 مِنْ حَرْبِ رَامَ اللَّهِ ، أَوْ مِنْ جَبَلِ الزَيْتُونِ
 يَأْتُونَ مِثْلَ الْمَنْ وَالسُّلُوبِ .. مِنَ السَّمَاءِ
 وَمِنْ دُمَى الْأَطْفَالِ .. مِنْ أَسَاوِرِ النِّسَاءِ
 وَيَسْكُنُونَ اللَّيْلَ .. وَالْأَحْجَارَ .. وَالْأَشْيَاءَ
 مِنْ حَزْنِنَا الْجَمِيلِ يَنْبُتُونَ
 أَشْجَارَ كِبَرِيَاءَ
 وَمِنْ شُقُوقِ الصَّخْرِ يُولَدُونَ
 بَاقَةَ أَنْبِيَاءَ
 لَيْسَتْ لَهُمْ هَوِيَّةٌ .. لَيْسَتْ لَهُمْ أَسْمَاءُ
 لَكِنَّهُمْ يَأْتُونَ ..
 لَكِنَّهُمْ يَأْتُونَ ..

يا (فَتَحُ) يا شاطِئنا من بعد ما فُقِدنا ..
 يا شمسَ نصفِ الليلِ لاحَتْ ..
 بعدما ضَجِرنا ..
 يا رِغْشَةَ الربيعِ فينا ..
 بعدما يَسِننا ..
 حين قرأنا عنكم كُلاًّ الذي قرأنا ..
 خمسينَ قرناً بكم كبرنا ..
 وارتفعت قاماتنا
 وأزهرت حياتنا
 من بعدما نشِفنا ..

يا (فَتَحُ) يا حصاننا الجميلا
يحملُ في غُرَّتِهِ بيسانَ والجليلِ
وغزَّةً ، والقدسَ ، والطيورَ ، والحُقُولِ
ويحملُ البحارَ في نظيرِهِ ،
ويحملُ السُّهُولِ
يا ماءنا .. يا ثلجنا .. يا ظلَّنا الظليلِ ..
يا طفلنا الذي انتظرنا وجههُ طويلا
يا (فَتَحُ) نحنُ مَكَّةُ
تنتظرُ الرِّسُولِ ..

يا (فَتَحْ) شَابَ الدَّمْعُ فِي عُيُونِنَا
 ولم يزلْ خِنْجَرُ إِسْرَائِيلَ فِي ظُهُورِنَا
 ولم نزلْ نَبْحُ فِي الظَّلَامِ عَنْ قُبُورِنَا
 ولم نزلْ كَالْأَمْسِ أَغْيَاءُ
 نَرَدُّ الْخُرَافَةَ الْبَلْهَاءُ
 (الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرَجِ)
 ولم نَزَلْ نَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ
 يُعِيدُنَا لِلدُّورِنَا ..
 ولم نزلْ نَظُنُّ أَنَّ النُّصْرَ ..
 وَلِيْمَةٌ تَأْتِي لَنَا .. وَنَحْنُ فِي سَرِيرِنَا ..

ولم نزلْ نَقْعُدْ من سِنينْ
على رصيف الأمم المتَّحدة
نشحذُ من لجانيها الحليبَ .. والطحينَ ..
والذُّلَّ .. والسردينَ .. والملابسَ المُستَعْمَلَةَ ..
ولم نزلْ نَمَضِغُ ساذجينْ
حكمتنا المُفضَّلَةَ :
(الصبرُ مفتاحُ الفَرَجِ)
إنَّ الرِّصَاصَ وحدهُ
لا الصبرَ مفتاحُ الفَرَجِ .

يا رَبَّنَا :
 نَرْفُضُ أَنْ نَكُونَ بَعْدَ الْيَوْمِ طَيِّبِينَ
 فَالطَّيِّبُونَ كُلُّهُمْ أَنْصَافُ مَيِّتِينَ
 هُمْ سَرَقُوا بِلَادَنَا ..
 هُمْ قَتَلُوا أَوْلَادَنَا
 فَاسْمَحْ لَنَا ، يَا رَبَّنَا ،
 نَكُونَ قَاتِلِينَ ..

يا ثَارَنَا ..
نرفضُ أن نكون كالخِرَافِ وادعينُ
يا طَبَلَنَا ..
يا زَارَنَا ..
يا قَاتَنَا ..
نرفضُ أن نظلَّ مسطولينَ .. دائخينُ
يا شِعْرَنَا كُنْ غاضِباً ..
يا ثَرْنَا كُنْ غاضِباً ..
يا عَقْلَنَا كُنْ غاضِباً ..
فَعَصْرُنَا الذي نعيشُ عصرُ غاضيينَ
يا حَقْدَنَا .. كُنْ حارقاً
كي لا نصيرَ كلُّنا قطعَ لاجئينَ ..

١٩٦٩

شعراء الأرض المحتلة

شُعْرَاءُ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ
 يَا مَنْ أَوْرَاقُ دِفَاتِرِكُمْ
 بِالْدمْعِ مُغْمَسَةٌ ، وَالطِّينُ
 يَا مَنْ نَبَرَاتُ حَنَاجِرِكُمْ
 تُشْبِهُ حَشْرَجَةَ الْمَشْنُوقِينَ

يا مَنْ ألوانُ محابِرْكُمْ
تبدو ، كرقاب المذبوحين
نَتَعَلَّمُ مِنْكُمْ منذُ سنينُ
نحنُ الشعراءُ المهزُومينُ
نحنُ الغرباءُ عن التاريخ ،
وعن أحزان المحزونين
نَتَعَلَّمُ مِنْكُمْ
كيف الحرفُ يكونُ له شكلُ السِّكِّينِ

شُعْرَاءُ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ
 يَا أَجْمَلَ طَيْرٍ يَأْتِينَا مِنْ لَيْلِ الْأَسْرِ
 يَا حُزْنَناً شَفَّافَ الْعَيْنَيْنِ ،
 نَقِيّاً مِثْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ
 يَا شَجَرَ الْوَرْدِ النَّابِتِ مِنْ أَحْشَاءِ الْجَمْرِ
 يَا مَطْراً يَسْقُطُ رَغْمَ الظُّلْمِ ، وَرَغْمَ الْقَهْرِ
 نَتَعَلَّمُ مِنْكُمْ ..
 كَيْفَ يُغْنِي الْغَارِقُ مِنْ أَعْمَاقِ الْبُثْرِ
 نَتَعَلَّمُ كَيْفَ يَسِيرُ عَلَى قَدَمِيهِ الْقَبْرِ ..

نتعلّم كيف يكونُ الشُّعْرُ
فلدينا قد مات الشعراءُ .. ومات الشُّعْرُ
الشُّعْرُ لدينا درويشُ ..
يترنّحُ في حلقات الذِّكْرِ
والشاعرُ يعملُ حوذيّاً لأمير القصرِ
الشاعرُ مخصيُ الشفّتينِ .. بهذا العَصْرُ
يمسحُ للحاكم معطفه ،
ويصبُّ له أقداحَ الخمرِ
الشاعرُ مخصيُ الكلماتِ ..
وما أشقى خصيانَ الفكرِ ..

شُعْرَاءُ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ
 يَا ضَوْءَ الشَّمْسِ الْهَارِبِ مِنْ ثَقْبِ الْأَبْوَابِ
 يَا قَرَعَ الطُّبْلِ الْقَادِمِ مِنْ أَعْمَاقِ الْغَابِ
 يَا كُلَّ الْأَسْمَاءِ الْمَحْفُورَةِ فِي رِيشِ الْأَهْدَابِ
 مَاذَا نَخْبِرُكُمْ يَا أَحِبَابِ؟
 عَنْ أَدَبِ النَّكْسَةِ ..
 شِعْرِ النَّكْسَةِ ..
 فِكْرِ النَّكْسَةِ ..
 يَا أَحِبَابِ ..

ما زلنا منذُ حَزِيران .. نحنُ الكُتَّابُ
نتمطَّى فوقِ وسائِدِنَا ..
نلهو بالصَّرْفِ وبالإِعْرَابِ
يطأُ الإرهابُ جماجمَنَا ..
ونُقَبِّلُ أقدامَ الإرهابِ
نركبُ أحصنةً من خَشَبِ
ونقاتلُ أشباحاً ..
وسَرَابَ ..

وَنُنَادِي :

يَا رَبَّ الْأَرْبَابِ

نَحْنُ الضُّعَفَاءُ .. وَأَنْتَ الْمُنْتَصِرُ الْغَلَابُ

نَحْنُ الْفُقَرَاءُ .. وَأَنْتَ الرِّزَاقُ الْوَهَّابُ

نَحْنُ الْجُبَنَاءُ .. وَأَنْتَ الْغَفَّارُ التَّوَّابُ

شُعَرَاءُ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ

مَا عَادَ لِأَعْصَابِيْ أَعْصَابُ

حُرُمَاتُ الْقُدُسِ قَدْ انْتَهَكَتْ

وَصِلَاحُ الدِّينِ مِنَ الْأَسْلَابِ ..

وَنُسَمِّي أَنْفُسَنَا كُتَّابٌ ؟؟

محمود الدرويش .. سلاما
 توفيق الزيات .. سلاما
 يا فدوى طوقان .. سلاما
 يا مَنْ تَبْرُونَ عَلَى الْأَضْلَاعِ الْأَقْلَامَا
 نَتَعَلَّمُ مِنْكُمْ ..
 كَيْفَ نَفَجِّرُ فِي الْكَلِمَاتِ الْأَلْغَامَا
 شُعْرَاءَ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ
 مَا زَالَ دِرَاوِيشُ الْكَلِمَةِ
 فِي الشَّرْقِ ، يَكْشُونُ حَمَامَا
 يَحْسُونُ الشَّايَ الْأَخْضَرَ .. يَجْتَرُّونَ الْأَحْلَامَا ..
 لَوْ أَنَّ الشُّعْرَاءَ لَدِينَا ، يَقْفُونَ أَمَامَ قِصَائِدِكُمْ
 لَبَدَّوْا أَقْرَاماً .. أَقْرَامَا ..

المُؤَدِّس

بَكَيْتُ .. حَتَّى انْتَهَى الدُمُوعُ
صَلَّيْتُ .. حَتَّى ذَابَتِ الشُّمُوعُ
رَكَعْتُ .. حَتَّى مَلَّنِي الرُّكُوعُ
سَأَلْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ ..
فِيكَ ، وَعَنْ يَسُوعَ
يَا قُدُّسُ . يَا مَدِينَةَ تَفُوحِ أَنْبِيَاءَ
يَا أَقْصَرَ الدُّرُوبِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

* * *

يا قُدُسُ .. يا منارة الشرائعُ
يا طفلةً جميلةً مَحْرُوقَةَ الأصابعِ
حزينةٌ عيناكِ يا مدينةَ البَتُولِ
يا واحةً ظليلةً مرَّ بها الرُّسُولُ
حزينةٌ حجارةُ الشوارعِ
حزينةٌ مآذنُ الجوامعِ
يا قُدُسُ .. يا مدينةً تلتفُّ بالسَّوادِ
من يقرعُ الأجراسَ في كنيسة القيامة ؟
صبيحةَ الآحادِ ..
من يحملُ الألعابَ للأولادِ ؟
في ليلة الميلاذِ ..

* * *

يا قُدُسُ .. يا مدينةَ الأحرانِ
يا دَمعةً كَبيرةً تجولُ في الأجفانِ
مَنْ يوقِفُ العُدوانَ ؟
عليك ، يا لؤلؤةَ الأديانِ
من يغسلُ الدماءَ عن حجارةِ الجُدُرانِ ؟
من يُنقِذُ الإنجيلَ ؟
من يُنقِذُ القرآنَ ؟
مَنْ يُنقِذُ المسيحَ مَمَّنْ قتلوا المسيحَ ؟
من يُنقِذُ الإنسانَ ؟

يا قُدُسُ .. يا مدينتي
يا قُدُسُ .. يا حبيتي
غداً .. غداً .. سِيْزُهُرُ اللَّيْمُونِ
وتفرحُ السَّنَابِلُ الخُضْرَاءُ والغُصُونُ
وتضحكُ العُيُونُ
وترجعُ الحمامُ المهاجرةُ
إلى السُّقُوفِ الطَّاهِرَةِ
ويرجعُ الأَطْفَالُ يلعبونَ
ويلتقي الآبَاءُ والبنونُ
على رُبَاكِ الزَّاهِرَةِ ..
يا بَلَدِي .. يا بَلَدَ السَّلامِ والزَّيتُونِ ..

منشورات فدايية
على جدران إسرائيل

لَنْ تَجْعَلُوا مِنْ شَعْبِنَا
شَعْبَ هُنُودِ حُمْرٍ
فَنَحْنُ بَاقُونَ هُنَا ..
فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي تَلْبَسُ فِي مِعْصَمِهَا
إِسْوَارَةً مِنْ زَهْرٍ ..
فَهَذِهِ بِلَادُنَا
فِيهَا وَجَدْنَا مِنْذُ فَجْرِ الْعُمُرِ
فِيهَا لَعِبْنَا .. وَعَشِقْنَا ..
وَكَتَبْنَا الشَّعْرَ ..

مُشَرَّشُونَ نَحْنُ فِي خُلُجَانِهَا
مِثْلَ حَشِيشِ الْبَحْرِ
مُشَرَّشُونَ نَحْنُ فِي تَارِيخِهَا
فِي خُبْزِهَا الْمَرْقُوقِ .. فِي زَيْتُونِهَا
فِي قَمْحِهَا الْمُصْفَرُّ ..
مُشَرَّشُونَ نَحْنُ فِي وَجْدَانِهَا
بِاقُونَ فِي آذَارِهَا ..
بِاقُونَ فِي نَيْسَانِهَا ..
بِاقُونَ كَالْحَفَرِ عَلَى صُلْبَانِهَا
بِاقُونَ فِي نَبِيِّهَا الْكَرِيمِ ، فِي قُرْآنِهَا
وَفِي الْوَصَايَا الْعَشْرِ ..

لا تسكروا بالنصر
 إذا قتلتم خالداً
 فسوف يأتي عمرو
 وإن سحقتهم ورده
 فسوف يبقى العطر ..

لَأَنَّ مُوسَى قُطِعَتْ يَدَاهُ
وَلَمْ يَعُدْ يُتَّقِنُ فَنَّ السَّحَرِ
لَأَنَّ مُوسَى كُسِرَتْ عَصَاهُ
وَلَمْ يَعُدْ بوسِعِهِ
شَقَّ مِيَاهَ الْبَحْرِ
لَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ كَأَمْرِيكَ
وَلَسْنَا كَالْهُنُودِ الْحُمْرِ
فَسَوْفَ تَهْلِكُونَ عَنْ آخِرِكُمْ
فَوْقَ صَحَارَى مِصْرَ ..

المسجِدُ الْأَقْصَى ، شهيدٌ جديدٌ
 نُضِيفُهُ إِلَى الْحَسَابِ الْعَتِيقِ
 وَلَيْسَتْ النَّارُ ، وَلَيْسَ الْحَرِيقُ
 سِوَى قَنَادِيلَ تُضِيءُ الطَّرِيقَ

مِنْ قَصَبِ الْغَابَاتِ
 نَخْرُجُ كَالْجِنِّ لَكُمْ
 مِنْ قَصَبِ الْغَابَاتِ

مِنْ رُزْمِ الْبَرِيدِ ، مِنْ مَقَاعِدِ الْبَاصَاتِ
 مِنْ عُلْبِ الدِّخَانِ ، مِنْ صَفَائِحِ الْبَنْزِينِ ،
 مِنْ شَوَاهِدِ الْأَمْوَاتِ
 مِنْ الطَّبَاشِيرِ .. مِنَ الْأَلْوَا حِ .. مِنْ ضَفَائِرِ الْبَنَاتِ ..
 مِنْ خَشَبِ الصُّلْبَانِ .. مِنْ أَوْعِيَةِ الْبُخُورِ ..
 مِنْ أَغْطِيَةِ الصَّلَاةِ ..

مِنْ وَرَقِ الْمُصْحَفِ ، نَأْتِيكُمْ
مِنْ السُّطُورِ وَالْآيَاتِ
لَنْ تُفْلِتُوا مِنْ يَدِنَا ..
فَنَحْنُ مَبْثُوثُونَ فِي الرِّيحِ .. وَفِي الْمَاءِ .. وَفِي النَّبَاتِ
وَنَحْنُ مَعْجُونُونَ بِالْأَلْوَانِ وَالْأَصْوَاتِ
لَنْ تُفْلِتُوا ..
لَنْ تُفْلِتُوا ..
فَكُلُّ بَيْتٍ فِيهِ بُنْدُقِيَّةٌ
مِنْ ضَنْفَةِ النَّيْلِ إِلَى الْفُرَاتِ ..

لنْ تَسْتَرِيحُوا مَعَنَا ..
 كُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَنَا
 يَمُوتُ آلَافاً مِنَ الْمَرَّاتِ ..

إِنْتَبَهُوا ..
 إِنْتَبَهُوا ..
 أَعْمِدَةُ النُّورِ لَهَا أَظَافِرُ
 وَلِلشَّبَابِيكِ عُيُونٌ عَشْرُ
 وَالْمَوْتُ فِي انْتِظَارِكُمْ
 فِي كُلِّ وَجْهِ عَابِرٍ .. أَوْ لَفْتَةٍ .. أَوْ خَصَرٍ ..
 الْمَوْتُ مَخْبُوءٌ لَكُمْ
 فِي مِشْطِ كُلِّ امْرَأَةٍ ..
 وَخُصْلَةٍ مِنْ شَعْرٍ ...

يَا آلَ إِسْرَائِيلَ ، لَا يَأْخُذْكُمْ الْغُرُورُ
 عَقَارِبُ السَّاعَةِ إِنْ تَوَقَّفَتْ
 لَا بُدَّ أَنْ تَدُورَ ..
 إِنَّ اغْتِصَابَ الْأَرْضِ لَا يُخِيفُنَا
 فَالْرِيشُ قَدْ يَسْقُطُ مِنْ أَجْنَحَةِ النُّسُورِ
 وَالْعَطَشُ الطَّوِيلُ لَا يُخِيفُنَا
 فَالْمَاءُ يَبْقَى دَائِمًا فِي بَاطِنِ الصُّخُورِ
 هَزَمْتُمُ الْجِيُوشَ .. إِلَّا أَنْكُمْ لَمْ تَهْزَمُوا الشُّعُورُ
 قَطَعْتُمُ الْأَشْجَارَ مِنْ رُؤُوسِهَا
 وَظَلَّتِ الْجُدُورُ ..

ننصحكم أن تقرأوا
 ما جاء في الزُّبور ..
 ننصحكم أن تحملوا تَوَرَّاتكم
 وتتبعوا نبيكم للطُّور
 فما لكم خبزٌ هنا .. ولا لكم حُضورٌ
 من باب كُلِّ جامعٍ
 من خلف كُلِّ منبرٍ مكسورٍ
 سيخرجُ الحجاجُ ذاتَ ليلةٍ ..
 ويخرجُ المنصورُ ...

اِنْتَظِرُونَا دَائِماً ..
 فِي كُلِّ مَا لَا يُنْتَظَرُ
 فَنَحْنُ فِي كُلِّ الْمَطَارَاتِ ..
 وَفِي كُلِّ بَطَاقَاتِ السَّفَرِ ..
 نَطْلُعُ فِي رُومَا .. وَفِي زُورِيخَ ..
 مِنْ تَحْتَ الْحَجَرِ
 نَطْلُعُ مِنْ خَلْفِ التَّمَاثِيلِ ..
 وَأَحْوَاضِ الزَّهْرِ ..

رجالنا يأتونَ دونَ موعدٍ
في غَضَبِ الرعد .. وزَخَّاتِ المَطَرِ
يأتونَ في عباءةِ الرسولِ ..
أو سيفِ عُمرَ ..
نساؤنا ..

يرسُمنَ أحزانَ فلسطينَ على دمعِ الشَّجرِ
يقبرنَ أطفالَ فلسطينَ بوجدانِ البَشَرِ
نساؤنا ..
يحملنَ أحجارَ فلسطينَ إلى أرضِ القَمَرِ ..

لقد سَرَقْتُمْ وِطْناً ..
 فَصَفَّقَ الْعَالَمُ لِلْمُغَامِرَةِ
 صَادَرْتُمْ الْأُلُوفَ مِنْ بُيُوتِنَا
 وَبَعْتُمْ الْأُلُوفَ مِنْ أَطْفَالِنَا
 فَصَفَّقَ الْعَالَمُ لِلْسَّمَايَةِ
 سَرَقْتُمْ الزَّيْتَ مِنَ الْكِنَائِسِ
 سَرَقْتُمْ الْمَسِيحَ مِنْ مَنْزِلِهِ فِي النَّاصِرَةِ
 فَصَفَّقَ الْعَالَمُ لِلْمُغَامِرَةِ
 وَتَنْصِبُونَ مَائِماً
 إِذَا خَطَفْنَا طَائِرَهُ ..

تَذَكَّرُوا ..
تَذَكَّرُوا دائماً ..
بأنَّ أمريكا - على شأنها -
ليست هي الله العزيز القدير
وأنَّ أمريكا - على بأسها -
لن تمنع الطيور من أن تطير
قد تقتل الكبير ، بارودة
صغيرة ، في يد طفل صغير

ما بيننا .. وبينكم .. لا ينتهي بعام
 لا ينتهي بخمسة ، أو عشرة ، ولا بألف عام
 طويلة معارك التحرير كالصيام
 ونحن باقون على صدوركم كالنقش في الرخام
 باقون في صوت المزاريب .. وفي أجنحة الحمام
 باقون في ذاكرة الشمس ، وفي دفاتر الأيام
 باقون في شيطنة الأولاد ، في خربشة الأقلام
 باقون في شعر امرئ القيس ، وفي شعر أبي تمام
 باقون في شفاه من نجيبهم
 باقون في مخارج الكلام ..

١٤

مُوعِدُنَا حِينَ يَجِيءُ الْمَغِيبُ
مُوعِدُنَا الْقَادِمُ فِي تَلِّ أَبِيبُ
« نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ ، وَفَتْحٌ قَرِيبٌ » .

١٥

لَيْسَ حُزَيْرَانُ سِوَى يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ
وَأَجْمَلُ الْوُرُودِ ، مَا يَنْبُتُ فِي حَدِيقَةِ الْأَحْزَانِ ..

١٨٣

للحزن أولادٌ سيكبرون ..
 للوجع الطويل ، أولادٌ سيكبرون ..
 لمن قتلتم في فلسطين صغارٌ سوف يكبرون ..
 للأرض .. للحارات .. للأبواب .. أولادٌ سيكبرون
 وهؤلاء كلهم .. تجمعوا منذ ثلاثين سنة
 في غرف التحقيق .. في مراكز البوليس .. في السجون
 تجمعوا كالدمع في العيون ..
 وهؤلاء كلهم ..
 في أي .. أي لحظة
 من كل أبواب فلسطين سيدخلون ..

.. وجاء في كتابه تعالى :
 بِأَنَّكُمْ مِنْ مِصْرَ تَخْرُجُونَ ..
 وَأَنَّكُمْ فِي تَيْبِهَا سَوْفَ تَجُوعُونَ وَتَعْطَشُونَ
 وَأَنَّكُمْ سَتَعْبُدُونَ الْعِجْلَ دُونَ رَبِّكُمْ
 وَأَنَّكُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، سَوْفَ تَكْفُرُونَ .
 وفي المناشير التي يحملها رجالنا
 زِدْنَا عَلَى مَا قَالَهُ تَعَالَى ، سَطْرَيْنِ آخَرَيْنِ :
 « وَمَنْ ذُرَى الْجَوْلَانِ تَخْرُجُونَ .. »
 « وَضَفَّةِ الْأَرْدُنِّ تَخْرُجُونَ .. »
 « بِقُوَّةِ السَّلَاحِ تَخْرُجُونَ .. »

سوف يموتُ الأعورُ الدجَّالُ
 سوف يموتُ الأعورُ الدجَّالُ
 ونحنُ باقونَ هُنا ..
 حدائقاً .. وعِطراً برتقالاً
 باقونَ فيما رسم الله على دفاتر الجبال
 باقونَ في معاصر الزيت .. وفي الأنوال
 في المدد .. في الجزر .. وفي الشُّروق والزوال
 باقونَ في مراكب الصيد ..
 وفي الأصداف والرمال ..

باقونَ في قصائد الحبِّ ..
وفي قصائد النضالِ
باقونَ في الشعرِ .. وفي الأزجالِ ..
باقونَ في عطر المناويلِ .. وفي (الدبكة) و (الموال) ..
في القصص الشعبيِّ .. في الأمثالِ
باقونَ في الكوفيَّة البيضاء .. والعُقَالِ
باقونَ في مروءة الخيل ، وفي مروءة الخيالِ
باقونَ في المهبَّاج .. والبُنِّ ..
وفي تحية الرجالِ للرجالِ ..

بأقونَ في معاطف الجنودِ ..
في الجراح ، في السُّعالِ
بأقونَ في سنابل القمح ، وفي نسائم الشمالِ
بأقونَ في الصليبِ ..
بأقونَ في الهلالِ ..
في ثورة الطُّلاب ، بأقونَ ، وفي معاول العُمَّالِ
بأقونَ في خواتم الخطبةِ .. في أسيرة الأطفالِ
بأقونَ في الدُموعِ ..
بأقونَ في الآمالِ ..

تَسْعُونَ مِليوناً من الأعرابِ ..
 خلفَ الأفقِ غاضِبُونَ
 يا وَيْلَكُمْ من ثأرِهِمْ
 يومَ من القُمُقمِ يطلعونَ ..

لأنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مَاتَ مِنْ زَمَانٍ
وَلَمْ يَعُدْ فِي الْقَصْرِ غِلْمَانٌ .. وَلَا خِصْيَانٌ
لأنَّا نَحْنُ قَتَلْنَاهُ ، وَأَطْعَمْنَاهُ لِلْحَيْتَانِ
لأنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ لَمْ يَعُدْ إِنْسَانٌ
لأنَّهُ فِي تَحْتِهِ الْوَتِيرِ ..
لَا يَعْرِفُ مَا الْقُدْسُ .. وَمَا بَيْسَانَ
فَقَدْ قَطَعْنَا رَأْسَهُ أَمْسٍ ..
وَعَلَّقْنَاهُ فِي بَيْسَانَ
لأنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ أَرْنَبٌ جَبَانٌ
فَقَدْ جَعَلْنَا قَصْرَهُ .. قِيَادَةَ الْأَرْكَانِ ..

ظلَّ الفلسطينيُّ أعواماً على الأبوابِ
 يشحذُ خبزَ العدلِ من موائد الذئابِ
 ويشتكِي عذابهُ للخالقِ التَّوَّابِ
 وعندما ..

أُخْرِجَ من إسْطِبله حصانهُ
 وزَيَّتَ البارودةَ المُلْقَاةَ في السردابِ
 أَصْبَحَ في مقدوره
 أن يبدأ الحِسَابَ ...

نحنُ الذينَ نرسمُ الخريطةَ
ونرسمُ السفوحَ والهضابَ
نحنُ الذينَ نبدأُ المحاكمَةَ
ونفرضُ الثوابَ والعقابَ ..

العَرَبُ الذينَ كانوا عندكمُ
مُصدِّري أحلامٍ
تحوَّلوا - بعدَ حُزيرانَ - إلى حقلٍ من الألغامِ
وانتقلتُ (هانوي) من مكانِها ..
وانتقلتُ (فيتنام) ..

حداثقُ التاريخُ دوماً تزهرُ
 فففي ربي السودان قد ماجَ الشقيقُ الأحمرُ
 وفي صحارى ليبيا
 أوزقَ غُصْنُ أخضرُ
 والعربُ اللذينَ قَلْتُمُ عنهمُ تحجَّروا ..
 تغيَّروا ..
 تغيَّروا ..

أنا الفلسطينيُّ

بعد رحلة الضياع والسرابِ

أطلعُ كالعُشبِ من الخرابِ

أضيءُ كالبرقِ على وجوهكم

أهطلُ كالسحابِ

أطلعُ كلَّ ليلةٍ ..

من فسحة الدار .. ومن مقابض الأبوابِ

من ورق التوت .. ومن شجيرة اللبلابِ ..

من بركة الماء ..

ومن ثرثرة المزرابِ ..

أطلعُ من صوت أبي ..
من وجه أمِّي ، الطَّيِّبِ ، الجَذَّابِ
أطلعُ من كُلِّ العيون السُّود .. والأهدابُ
ومن شبائك الحبيبات ..
ومن رسائل الأحباب
أطلعُ من رائحة التُّراب
أفتحُ بابَ منزلي ..
أَدْخُلُهُ . من غير أن أنتظرَ الجواب
لأنِّي أنا السُّؤالُ والجَوَابُ ..

مُحَاصِرُونَ أَنْتُمْ بِالْحَقِّدِ وَالْكَرَاهِيَّةِ
 فَمِنْ هُنَا .. جَيْشُ أَبِي عُبَيْدَةَ
 وَمِنْ هُنَا مَعَاوِيَةَ
 سَلَامُكُمْ مَمَزَّقٌ
 وَبَيْتُكُمْ مُطَوَّقٌ
 كَبِيتَ أَيُّ زَانِيَةٍ ...

نأتي ..

بكُوفَاتِنَا البِيضَاءِ وَالسُّودَاءِ

نرسمُ فوق جلدكمُ

إشارةَ الفِداءِ

مِنْ رَحِمِ الْآيَّامِ نأتي كَانِثَاقِ الْمَاءِ

مِنْ خَيْمَةِ الذُّلِّ الَّتِي يعلُكها الهَوَاءُ

مِنْ وَجَعِ الْحُسَيْنِ نأتي ..

مِنْ أَسَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ..

مِنْ أَحَدٍ ، نَأْتِي ، وَمِنْ بَدْرِ ..
وَمِنْ أَحْزَانِ كَرْبَلَاءَ
نَأْتِي .. لَكِي نَصَحَّ التَّارِيخَ وَالْأَشْيَاءَ ..
وَنُطَمِسَ الْحُرُوفَ فِي الشُّوَارِعِ الْعِبْرِيَّةِ الْأَسْمَاءَ ..

١٩٧٠

عُرسُ الخيول الفلسطينية

كُتبت عن قادة المقاومة الفلسطينية
كمال ناصر ، وكمال علوان ،
وأبي يوسف النجار وزوجته ،
الذين اغتيلوا في منازلهم بشارع
فردان في بيروت في نيسان ١٩٧٣

بشارع (فردان) كانت تموتُ الخيولُ الجميلةُ
بصمتٍ ..

وتختارُ ميتَها النادرةَ
يقولونَ : إِنَّ الخُيُولَ بِفِطْرَتِهَا
تعاني من العشق أيضاً ،
وتعرفُ معنى الفراقِ ، ومعنى الشَّجَنِ
وتقرأُ أحسنَ منَّا جميعاً
كتابَ الوَطَنِ ..

لماذا يُسَمُّونَهُ مَاتَمًا ؟
لقد كان أروعَ عرسٍ رَأَتْهُ المَدِينَةُ
ويا أُمَّ يوسُفَ ، أنتِ العَروسُ
ونحنُ شُهُودُكَ لَيْلَ زُفْفَتِ لَزِينِ الشَّبَابِ ،
ونحنُ رَشَقْنَاكُمَا بِالْمُلْبَسِ وَالْوَرْدِ ،
نحنُ رَقَصْنَا أَمَامَكُمَا رَقْصَةَ السِّيفِ وَالتُّرْسِ ،
نحنُ وَضَعْنَاكَ فَوْقَ حِصَانِ العَرِيسِ
وَتُوبُ زَفَاكَ كَانَ يُلَامِسُ
أَشْجَارَ غَزَّةَ وَالنَّاصِرَةَ
لماذا يَقُولُونَ : إِنَّ الْخِيُولَ
- إِذَا قُتِلَتْ - تَفْقَدُ الذَّاكِرَةَ ؟ ؟

لقد كان عُرْسًا جميلاً ..
 وكانت فلسطينُ تستقبلُ الناسَ في زِيَّها الوطنيِّ
 وكان رجالُ الصحافة يلتقطون تصاویرَها
 بينَ أولادها الأربعة
 لقد زَوَّجَتْهُمْ جميعاً ..
 وكانت جميعُ الخيول تمدُّ إلى الشمس أعناقها العالیه
 وتركضُ .. تركضُ ..
 تركضُ نحو حقول أريحا ..
 وتلعبُ فوق بساطینِها السُّنْدُسِيَّة
 لماذا يقولونَ إِنَّ الخيولَ الكريمةَ ،
 لا تعرفُ الحُبَّ .. والقصصَ العاطفيَّة

صديقي كمال :
 صديق الدفاتر .. والجبر .. والكلمات الجديدة
 أكلُ الرصاص الذي أطلقوه عليك ؟
 لقتل قصيدة ..
 أكلُ الثُقُوب التي تركوها على شفتيك ؟
 لقتل قصيدة ..

لقد كان عُرْساً جميلاً ..
وَكُنَّا نَرْفُكَ بَيْنَ رَنِينِ الدُّفُوفِ
وضوء المشاعل
وَكُنْتَ تُغَنِّي ..
ونحن نُلَمِّمُ عَنْ شَفَتَيْكَ
أُلوْفَ السَّنَابِلِ
وَكُنْتَ تَعَلَّمْنَا كَيْفَ نُلْغِي الْمَسَافَةَ
بين الأديب وبين المُقَاتِلِ ..
وَكُنْتَ تَعَلَّمْنَا يَا صَدِيقِي
بَأَنَّ الْمَسَدَّسَ لَا يَسْتَطِيعُ اغْتِيَالَ الْبَلَابِلِ ..

بشارع (فردان) كانت تموتُ الخيولُ الأصيله
 وكان رجالُ السياسة في الـ (دولتشي فيتا)
 يعيشون كالـحلزُونِ الكَسُولِ على فَضَلاتِ الجرائدِ
 وكان رجالُ العقيدةِ يستشهدونَ بأفكارِ (ماو)
 ويحترقونَ النضالَ على عُلبِ (المالبورو) الفارغةِ
 وكان الجواسيسُ يصطحبونَ النساءَ علانيةً ،
 ويرتشفونَ نبيذَ البقاعِ ..
 ويستمتعونَ بشمسِ شواطئنا الساحرةِ
 وكانت فلسطينُ بين المحيط .. وبين الخليجِ ..
 تفتشُ عن غرفةٍ شاغرةٍ ..

دعوةُ اصطيافٍ للخامس من حزيران

كُتبت في ٥ حزيران ١٩٧٢
بعد مرور خمس سنوات على
الهزيمة .

سَنَةٌ خَامِسَةٌ تَأْتِي إِلَيْنَا ..
 حَامِلًا كَيْسَكَ فَوْقَ الظَّهْرِ .. حَافِي الْقَدَمَيْنِ ..
 وَعَلَى وَجْهِكَ أَحْزَانُ السَّمَاوَاتِ ..
 وَأَوْجَاعُ الْحُسَيْنِ ..
 سَنَلْقِيكَ عَلَى كُلِّ الْمَطَارَاتِ بِبَاقَاتِ الزُّهُورِ
 وَسَنَحْسُو - نَخْبَ تَشْرِيفِكَ - أَنْهَارَ الْخُمُورِ
 سَنُغَنِّيكَ أَغَانِينَا .. وَنُلْقِي
 أَكْذَبَ الْأَشْعَارِ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَسَتَعْتَادُ عَلَيْنَا ..
 مِثْلَمَا اعْتَدْنَا عَلَيْكَ ...

نحنُ ندعوكَ لتصْطافَ لدينا
 مثلَ كُلِّ السَّائِحِينَ
 وسنُعْطِيكَ جَنَاحاً مَلَكِيّاً
 لكَ جَهْزَنَاهُ مِنْ خَمْسِ سَنِينَ
 سوفَ تَسْتَمْتَعُ بِاللَّيْلِ .. وَأَضْوَاءِ النُّيُونِ
 وبرقص (الجيرك) و (الجاز) وأفلام الشدوذ ..
 فهنا ..
 لا نعرفُ الحزنَ ، ولا مَنْ يحزنُونُ ..

سوفَ تلقى في بلادي ما يسُرُّكَ
شِقَقاً مَفْرُوشَةً للعاشقين
وكؤوساً نُضِدَّتْ للشاربين
وحرماً لأُمير المؤمنين ! ! .
فلماذا أنتَ مكسورُ الجَنَاحِ ؟
أيُّها الزائرُ ذو الوجه الحزين
ولدينا الماء ..
والخُضْرَةُ ..
والبيضُ الملاح ..

فلماذا تتردد؟
سوف نُنسيك فلسطين ..
ونستأصل من عينيك أشجار الدُموع
وسنُلغي سورة (الرحمن) ..
(الفتح)
ونغتال يسوع
وسنعطيك جوازاً عربياً
شُطِبَ منه إشارات الرجوع ..

سَنَةٌ خَامِسَةٌ ..

سَادِسَةٌ ..

سَابِعَةٌ ..

ثَامِنَةٌ ..

تَاسِعَةٌ ..

عَاشِرَةٌ ..

مَا تَهْمُ السَّنَاتُ ؟

إِنَّ كُلَّ الْمُدُنِ الْكُبْرَى مِنَ النَّيْلِ إِلَى شَطِّ الْفُرَاتِ

مَا لَهَا ذَاكِرَةٌ أَوْ ذَكْرِيَّاتٌ ..

كُلُّ مَنْ سَافَرَ فِي التَّيْهِ ، نَسِيْنَاهُ ..

وَمَنْ قَدْ مَاتَ مَاتَ ..

ما تَهْمُ السَّنَوَاتُ ؟
نحنُ أعددنا الأكاليلَ ، وهيانا المناديلَ
واللَّفنا جميعَ الكلماتِ
ونَحْتَنَّا قبلَ أسبوعِ رُخَامِ الشهاداتِ
أيُّها الشرقُ الذي يأكلُ أوراقَ البلاغاتِ
ويمشي - كخِرُوفٍ - خلفَ كُلِّ اللافتاتِ
أيُّها الشرقُ الذي يَكْتُبُ أسماءَ ضحاياهِ
على وجهِ المرايا ..
وَبُطُونِ الراقصاتِ ..
ما تَهْمُ السَّنَوَاتُ ؟
ما تَهْمُ السَّنَوَاتُ ؟

حوارُ مع عربيّ
أضاع فرسه

لو كانت تسمعي الصحراء
 لطلبتُ إليها ..
 أن تتوقفَ عن تفريخ ملايين الشعراء
 وتحرّر هذا الشعب الطيب من سيف الكلمات ..
 ما زلنا منذ القرن السابع نأكلُ ألياف الكلمات
 نترحلُق في صَمغ الرءاء
 نتدحرجُ من أعلى الهاءات
 وننامُ على هجو جرير ..
 ونُفِيقُ على دمع الخنساء ..

ما زلنا منذُ القرن السابع ..
خارجَ خارطة الأشياء
نترقبُ عنْترَةَ العَبْسِيِّ ..
يجيءُ على فرَسٍ بيضاء ..
ليفرِّجَ عنَّا كُرْبَتَنَا
ويردُّ طوايرَ الأعداء ..
ما زلنا نقضُمُ كالْفُئْران ..
مواعظَ سادِتنا الفُقَهَاء
نَقْرَأُ (معروفَ الإسْكَافِيِّ) ..

ونقرأ (أخبار الندماء) ..

ونكاتِ جحا ..

و(رجوع الشيخ) ..

وقصة (داحس والغبراء) ..

يا بلدي الطيب يا بلدي ..

الكلمة كانت عصفوراً

وجعلنا منها ..

سوق بغاء ..

* * *

لو كانت نَجْدُ تَسْمَعُنِي
 والرُّبْعُ الْخَالِي يَسْمَعُنِي
 لَخْتَمْتُ أَنَا بِالشَّمْعِ الْأَحْمَرِ سَوْقَ عُكَاظُ
 وَشَنَقْتُ جَمِيعَ النَّجَّارِينَ ..
 وَكُلَّ بَيَاطِرَةِ الْأَلْفَاظُ
 مَا زِلْنَا مِنْذُ وَلَادَتْنَا
 تَسْحَقُنَا عَجَلَاتُ الْأَلْفَاظُ

لو أُعْطِيَ السُّلْطَةُ فِي وَطَنِي
لَقَلَعْتُ نَهَارَ الْجُمُعَةِ أَسْنَانَ الْخُطَبَاءِ
وَقَطَعْتُ أَصَابِعَ مَنْ صَبَغُوا بِالْكَلِمَةِ أَحْذِيَةَ الْخُلَفَاءِ ..
وَجَلَدْتُ جَمِيعَ الْمُتَنَفِّعِينَ بِدِينَارٍ ..
أَوْ صَحْنِ حِسَاءٍ ..
وَجَلَدْتُ الْهَمْزَةَ فِي لَغْتِي ..
وَجَلَدْتُ الْيَاءَ ..
وَذَبَحْتُ (السَّيْنَ) .. وَ (سَوْفَ) ..
وَ (تَاءَ التَّائِيثِ) الْبَلْهَاءَ ..

والزُّخْرُفَ .. والخطَّ الكوفيَّ ..
وكلَّ الأعيبِ البُلْغَاءِ
وكنستُ غُبَارَ فصاحتنا
وجميعَ قصائدنا العصماء ..
يا بلدي ..
كيف تموتُ الخَيْلُ
ولا يبقى إلا الشُّعْرَاءُ ؟ ؟

لو أُعْطِيَ السُّلْطَةُ فِي وَطَنِي
 أَعْدَمْتُ جَمِيعَ الْمُنْطَحِينَ عَلَى أَبْوَابِ مَقَاهِينَا
 وَقَصَصْتُ لِسَانَ مُغْنِينَا
 وَفَقَّاتُ عَيُونَ الْقَمَرِ الضَّاحِكِ مِنْ أَحْزَانِ لَيَالِينَا
 وَكَسَرْتُ زُجَاجَتَهُ الْخَضِرَاءَ
 وَأَرْحُوكَ يَا لَيْلَ بِلَادِي
 مِنْ هَذَا الْوَحْشِ الْآكِلِ مِنْ لَحْمِ الْبُسْطَاءِ ..

يا بَلَدِي الطَّيِّبَ .. يا بَلَدِي
لو تَنْشَفُ آبَارُ البَتْرُول ، ويبقى الماء
لو يُخْصَى كُلُّ المنحرفين ..
وكلُّ سَمَاسِرَةِ الأَثْدَاء ..
لو تُلغى أَجْهَزَةُ التَّكْيِيفِ مِنَ الغُرَفِ الحَمْرَاءِ
وتَصِيرُ يَوَاقِيتُ التَّيْجَانِ ..
نِعَالاً فِي قَدَمِ الْفُقَرَاءِ ..

لو أملكُ كرباجاً بيدي ..
جرَدْتُ قِياصرةَ الصحراءِ من الأثوابِ الحضريَّةِ
ونَزَعْتُ جميعَ خواتمهمْ
ومَحَوْتُ طلاءَ أظافرهمْ
وسَحَقْتُ الأحذيةَ اللَّماعةَ ..
والساعاتِ الذهبيَّةَ ..
وأَعَدْتُ حليبَ النُّوقِ لَهُمْ
وأَعَدْتُ سروجَ الخيلِ لَهُمْ
وأَعَدْتُ لَهُمْ
حتَّى الأسماءَ العربيَّةَ ...

لو يَكْتُبُ في يافا الليمونُ ، لأرسلَ آلافَ القُبُلَاتُ
 لو أنَّ بحيرة طبريّا تعطينا بعضَ رسائلها ..
 لاحترقَ القاريءُ والصفحاتُ ..
 لو أنَّ القدسَ لها شفةٌ ، لاختنقتُ في فمها الصَّلواتُ
 لو أنَّ ..

وما تُجدي (لو أنَّ ..) ونحنُ نُسافرُ في المأساة
 ونَمُدُّ إلى الأرضِ المحتلَّةِ حَبْلاً شعريَّ الكَلِمَاتِ
 ونَمُدُّ لِيافا منديلاً طُرُزَ بالدمع .. وبالَدَعَوَاتِ

يا بَلَدِي الطَّيِّبَ .. يا بَلَدِي
 ذَبَحْتُكَ سكاكينُ الكَلِمَاتِ ..

جريمةُ شرفٍ
أمام المحاكم العربيّة

... وَفَقَدْتَ يَا وَطَنِي الْبَكَارَةَ ..
 لم يَكْتَرِثْ أَحَدٌ ..
 وَسُجِّلَتِ الْجَرِيْمَةُ ضِدَّ مَجْهُولٍ
 وَأُرْخِيَتِ السَّتَارَةُ ..
 نَسِيتُ قِبَائِلُنَا أَظَافِرَهَا
 تَشَابَهَتِ الْأُنُوثَةُ وَالذُّكُورَةُ فِي وَظَائِفِهَا ،
 تَحَوَّلَتِ الْخِيُولُ إِلَى حِجَارَةٍ ..
 لم تَبْقَ لِلْأَمْوَاسِ فَائِدَةٌ .. وَلَا لِلْقَتْلِ فَائِدَةٌ
 فَإِنَّ اللَّحْمَ قَدْ فَقَدَ الْإِثَارَةَ ..

دَخَلُوا عَلَيْنَا ..
 كَانَ عَنَتَرَةُ يَبِيعُ حَصَانَهُ بِلُفَافَتِي تَبَغٍ ..
 وَقَمِصَانٍ مُشَجَّرَةٍ ..
 وَمَعْجُونٍ جَدِيدٍ لِلْحَلَاقَةِ ..
 كَانَ عَنَتَرَةُ يَبِيعُ الْجَاهِلِيَّةَ
 دَخَلُوا عَلَيْنَا ..
 كَانَ أَخْوَالُ الْقَتِيلَةِ يَشْرَبُونَ (الْجِنَّ) بِاللَّيْمُونِ ..
 يَصْطَافُونَ فِي لَبْنَانٍ ..
 يَرْتَاخُونَ فِي أَسْوَانَ ..
 يَبْتَاعُونَ مِنْ (خَانَ الْخَلِيلِيِّ) الْخَوَاتِمَ .. وَالْأَسَاوِرَ ..
 وَالْعُمُومَ الْفَاطِمِيَّةَ ...

ما زال يكتبُ شِعْرَه العُدْرِيَّ ، قَيْسُ
 واليهودُ تَسْرَبُوا لِفِرَاشِ لَيْلى العامريَّةِ
 حتّى كلابُ الحيِّ لم تَنْبَحْ ..
 ولم تُطْلَقْ على الزاني رصاصَةُ بندقيَّةِ
 « لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَفِيعُ » !
 ونحنُ ضَاجَعْنَا الغَزَاةَ ثَلاثَ مرَّاتٍ ..
 وَضَيَّعْنَا العِفَافَ .. ثَلاثَ مرَّاتٍ ..
 وَشَيَّعْنَا المُرُوءَةَ بِالمراسمِ ، والطُّقُوسِ العسْكريَّةِ
 « لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَفِيعُ » !
 ونحنُ غَيَّرْنَا شَهادَتَنَا .. وأنْكَرْنَا عَلاقَتَنَا ..
 وأَحْرَقْنَا مِلفَاتِ القَضِيَّةِ ..

الشمسُ تُشرقُ مرةً أُخرى ..
وعُمَّالُ النظافة يجمعون أصابعَ الموتى ..

وألعابُ الصغار ..
الشمسُ تُشرقُ مرةً أُخرى ..
وذاكرةُ المدائن مثل ذاكرة البغايا والبحار
الشمسُ تُشرقُ مرةً أُخرى ..
وتمتليءُ المقاهي مرةً أُخرى
ويحتدمُ الحِوَارُ :

- إِنَّ الجَرِيمَةَ عَاطِفِيَّةٌ ..
- إِنَّ النِّسَاءَ جَمِيعَهُنَّ مُغَامِرَاتٌ وَالشَّرِيعَةُ عِنْدَنَا ضِدٌّ
الضَّحِيَّةُ ..
- يَا سَادَتِي .. إِنَّ المَخْطُوطَ كُلَّهُ مِنْ صُنْعِ أَمْرِيكَ ، وَبِتَرْوُلِ
الْخَلِيجِ هُوَ الْأَسَاسُ ، وَكُلُّ مَا يَبْقَى أُمُورٌ جَانِبِيَّةٌ ..
- مَلْعُونَةُ أُمِّ السِّيَاسَةِ ... نَحْنُ نُحِبُّ أَرْزَاقَ فُورَ ،
وَالْوَسْكَىَّ بِالثَّلْجِ الْمَكْسَرِ ، وَالْعُطُورَ الْأَجْنَبِيَّةَ ..
- إِنَّ النِّسَاءَ بِنِصْفِ عَقْلِ .. وَالشَّرِيعَةُ عِنْدَنَا
ضِدٌّ الضَّحِيَّةُ ...
-
-
- كُلُّ الْقَوَانِينِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ عِنْدَنَا ضِدٌّ الضَّحِيَّةُ ...

العالمُ العربيُّ يبلغُ حَبَّةَ (البَثِّ المباشرِ)
 (يا عَيْنِي عَالِصَبْرٌ ، يا عَيْنِي عَلَيْهِ)
 والعالمُ العربيُّ ..
 يضحكُ لليهودِ القادمينَ إليه ..
 من تحتِ الأظافرِ ...

يأتي حزيناً ويذهب ..
والفرزدق يغرز السكين في رثتي جرير ..
والعالم العربي شطرنج ..
وأحجار مبعثرة ..
وأوراق تطير ..
والخيل عطشى .. والقبائل تستجار ولا تجير ..
(الناطق الرسمي يعلن أنه في الساعة الأولى
وخمس دقائق ، شرب اليهود الشاي في بيروت ،
وارتاحوا قليلاً في فنادقها ، وعادوا سالمين ...)

- لا شيء مثل (الجن) بالليمون .. في زمن الحروب ..
وأجمل الأثداء ، في اللّمس ، المليء .. المستدير ..
(الناطق الرسمي يعلن أنهم طافوا بأسواق
المدينة ، واشتروا صحفاً وتفاحاً ، وكانوا
يرقصون (الجيرك) في حقدٍ ، ويغتالون كلّ الراقصين)
- إنّ السويديّات أحسن من يمارسن الهوى ...
- والجنس في ستوكهولم يشرب كالنبيذ على الموائد ...
- الجنس يُقرأ في السويد مع الجرائد ...

(الناطق الرسمي يعلنُ في بلاغٍ لاحقٍ :
أنَّ اليهودَ تزوّجوا زوجاتنا ..
ومَضَوْا بهنَّ .. فبالرفاه وبالبنين ..)

٧

العالمُ العربيُّ غانيةٌ ..
تنامُ على وسادةٍ ياسمينٍ
فالحربُ من تقدير ربِّ العالمينُ
والجُبْنُ من تقدير ربِّ العالمينُ ...

قرَّرتُ يا وطني اغتيالكَ بالسَّفرِ ..
 وحجَّرتُ تذكَّرتي ،
 وودَّعتُ السَّنايِلَ ، والجداولَ ، والشَّجَرِ
 وأخذتُ في جيبي تصاويرَ الحقولِ ..
 أخذتُ إمضاءَ القَمَرِ ..
 وأخذتُ وجهَ حبيبتي ..
 وأخذتُ رائحةَ المَطَرِ ..
 قلبي عليك .. وأنتَ يا وطني
 تنامُ على حَجَرٍ ..

يا أيُّها الوطنُ المسافرُ في الخطابة ..
 والقصائدِ .. والنصوصِ المسرحيةِ
 يا أيُّها الوطنُ المصورُّ في بطاقاتِ السياحةِ ..
 والخرائطِ .. والأغاني المدرسيةِ ..
 يا أيُّها الوطنُ المحاصرُ
 بين أسنانِ الخلافةِ ، والوراثَةِ ، والإمارةِ
 وجميعِ أسماءِ التعجبِ والإشارةِ
 يا أيُّها الوطنُ الذي شُعِرَ أُوهُهُ
 يَضَعُونَ - كي يُرَضُّوا السلاطينَ -
 الرُّمُوشَ المُسْتَعَارَةَ ! ! .

يا سيّدي الجمهورَ .. إني مُستَقِيلٌ ..
 إن الروايةَ لا تناسيني ، وأثوابي مُرَقَّعةٌ ، ودَوَري مستحيلٌ
 لم يبقَ للإخراجِ فائدةٌ .. ولا لمكبراتِ الصوتِ فائدةٌ ..
 ولا للشعرِ فائدةٌ .. وأوزانِ الخليلِ
 يا سيّدي الجمهورَ سامحني إذا ضيَعْتُ ذاكرتي ..
 وضَيَعْتُ الكتابةَ والأصابعَ ..
 ونسيتُ أسماءَ الشوارعِ ..
 إني قتلْتُكَ أيُّها الوطنُ الممدّدُ فوقَ أختامِ البريدِ ،
 وفوقَ أوراقِ الطوابعِ ..
 وذبحتُ خيلي المُضْرِبَاتِ عن الصهيلِ
 إني قتلْتُكَ ، واكتشفتُ بأنّي كنتُ القَتيلُ ..
 يا سيّدي الجمهورَ سامحني ..
 فدورُ مُهرِّجِ السلطانِ دورٌ مُستحيلٌ ..

الحاكمُ والعصفور

أَتَجَوَّلُ فِي الْوَطْنِ الْعَرَبِيِّ
 لِأَقْرَأَ شِعْرِي لِلْجُمْهُورِ
 فَأَنَا مُقْتَنِعٌ
 أَنَّ الشَّعْرَ رَغِيفٌ يُخْبِزُ لِلْجُمْهُورِ
 وَأَنَا مُقْتَنِعٌ - مِنْذُ بَدَأْتُ -
 بِأَنَّ الْأَحْرُفَ أَسْمَاكُ
 وَبِأَنَّ الْمَاءَ هُوَ الْجُمْهُورُ ..

أَتَجَوَّلُ فِي الْوَطْنِ الْعَرَبِيِّ
 وَلَيْسَ مَعِيَ إِلَّا دَفْتَرٌ ..
 يُرْسِلُنِي الْمَخْفَرُ لِلْمَخْفَرِ ..
 يَرْمِينِي الْعَسْكَرُ لِلْعَسْكَرِ ..
 وَأَنَا لَا أَحْمِلُ فِي جَيْبِي إِلَّا عُصْفُورُ
 لَكِنَّ الضَّابِطَ يُوقِفُنِي
 وَيُرِيدُ جَوَازاً لِلْعُصْفُورِ
 تَحْتَاجُ الْكَلِمَةَ فِي وَطَنِي
 لَجَوَازِ مُرُورٍ . . .

أَبْقَى مَرْمِيًّا سَاعَاتٍ ..
مُسْتَنْظِرًا فَرْمَانَ الْمَأْمُورِ
أَتَأَمَّلُ فِي أَكْيَاسِ الرَّمْلِ ،
وَدَمْعِي فِي عَيْنِي بُحُورُ
وَأَمَامِي ، ارْتَفَعَتْ لَافِتَةٌ
تَتَحَدَّثُ عَنْ (وَطَنٍ وَاحِدٍ) ..
تَتَحَدَّثُ عَنْ (شَعْبٍ وَاحِدٍ) ...

وأنا ، كالجُرْدِ ، هُنا قاعِدُ
أَتَقِيَّأُ أَحْزاني ..
وأَدُوسُ جَمِيعَ شِعاراتِ الطَّبَشُورِ
وأُظِلُّ على بابِ بِلادي
مَرَمِيًّا كالْقَدَحِ المَكْسُورِ ...

الوصية

أَفْتَحُ صَنْدُوقَ أَبِي ..
 أَمْزِقُ الْوَصِيَّةَ .
 أَبِيعُ فِي الْمَزَادِ مَا وَرِثْتُهُ :
 مَجْمُوعَةَ الْمَسَابِحِ الْعَاجِيَّةِ
 طَرَبُوشَةَ التَّرْكِيِّ ، وَالْجَوَارِبَ الصُّوفِيَّةَ
 وَعُلْبَةَ النُّشُوقِ . وَالسَّمَاورَ الْعَتِيقَ ، وَالشَّمْسِيَّةَ
 أَسْحَبُ سِيفِي غَاضِباً
 وَأَقْطَعُ الرُّؤُوسَ ، وَالْمَفَاصِلَ الْمَرْخِيَّةَ
 وَأَهْدِمُ الشَّرْقَ عَلَى أَصْحَابِهِ
 تَكِيَّةً .. تَكِيَّةً ...

أَفْتَحُ صُنْدُوقَ أَبِي ..
 فَلَا أَرَى ..
 إِلَّا دِرَاوِيشَ وَمَوْلَوِيَّةَ
 وَالْعُودَ .. وَالْقَانُونَ .. وَالْبِشَارِفَ الشَّرْقِيَّةَ
 وَقِصَّةَ الزَّرِيرِ عَلَى حِصَانِهِ
 وَعَاطِلِينَ يَشْرَبُونَ الْقَهْوَةَ التُّرْكِيَّةَ
 أَسْحَبُ سَيْفِي غَاضِباً
 وَأَقْتُلُ الْمَعْلَقَاتِ الْعَشَرَ .. وَالْأَلْفِيَّةَ
 وَأَقْتُلُ الْكَهُوفَ ، وَالْدُّفُوفَ ،
 وَالْأَضْرَحَةَ الْغَيْبِيَّةَ ..

أَفْتَحُ تَارِيخَ أَبِي ..
 أَفْتَحُ أَيَّامَ أَبِي ..
 أَرَى الَّذِي لَيْسَ يُرَى
 أَذْعِيَّةٌ ... مَدَائِحُ دِينِيَّةُ
 أَوْعِيَّةٌ ... حَشَائِشُ طَبِيَّةُ
 أَدْوِيَّةٌ .. لِلْقُدْرَةِ الْجِنْسِيَّةِ
 أَبْحَثُ عَنْ مَعْرِفَةٍ تَنْفَعُنِي
 أَبْحَثُ عَنْ كِتَابَةٍ تَخُصُّ هَذَا الْعَصْرَ .. أَوْ تَخُصُّنِي
 فَلَا أَرَى حَوْلِي سِوَى رَمَلٍ .. وَجَاهِلِيَّةٍ

أرفضُ ميراثَ أبي .
وأرفضُ الثوبَ الذي ألبَسني
وأرفضُ العلمَ الذي علَّمني
وكلَّ ما أُوْرثني من عُقدِ جنسيَّة
أرفضُ (ألفَ ليلةٍ) ..
والقمقمَ العجيبَ ، والماردَ ، والسُّجادةَ السحريةَ
أرفضُ سيفَ الدولة المغرورَ .. والقصائدَ الدليَّةَ الغيَّةَ ..
أُحرقُ رسمَ أُسرتي .. أُحرقُ أبجديتي ..
ومن فلسطينَ ، ومن صمودِها
من طَلَّقاتِ النارِ في جرودِها
من قمحها المغموس بالدمعِ ، ومن ورودِها
أُصنعُ أبجديَّةَ ...

أَدْخُلْ مِثْلَ الْبَرْقِ مِنْ نَافِذَةِ الْخَلِيفَةِ ..
أَرَاهُ لَا يَزَالُ مِثْلَمَا تَرَكْتُهُ

مِنْذَ قُرُونٍ سَبْعَةٍ

مُضَاجِعاً جَارِيَةً رُومِيَّةً

أَقْرَأَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَوْقَ رَأْسِهِ

مَكْتُوبَةً بِأَحْرَفٍ كُوفِيَّةٍ

عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَالرَّسُولِ .

وَالشَّرِيعَةِ الْحَنِيفَةِ ..

أقولُ في سريري :
تباركَ الجهادُ في النُحُورِ ..
والأثداء ..
والمعاصمِ الطريَّة ..
يا حضرةَ الخليفة ..
أعبرُ من سُرَادِقِ الحريمِ كالمنيَّة
أَمْشي على الأبدانِ .. والغلمانِ ..
والأساورِ المرْمِيَّة ..
أَمْشي على توجُّعِ الحريرِ والقטיפَةِ ..

أَدْخُلْ مِثْلَ الْمَوْتِ مِنْ نَافِذَةِ الْخَلِيفَةِ
يَحْسُبُنِي مَرْتَرَقًا ..
دَبَّجْتُ فِي مَدِيحِهِ قَصِيدَةً هَمَزِيَّةً
يَأْمُرُ لِي مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّ مَا أَطْلُبُهُ ..
عِبَاءَةً مِنْ قَصَبٍ
وَسَاعَةً مِنْ ذَهَبٍ
وَمِنْ نِسَاءِ قَصْرِهِ مَحْظِيَّةً ..

أَبْصُقُ فَوْقَ وَجْهِهِ ..
وَفَوْقَ وَجْهِ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ
مَنْ أَنْتَ ؟
يَا سَيَّافُ . إِقْطَعْ رَأْسَهُ ..
وَهَاتِ لِي الرَّأْسَ عَلَى صِينَةٍ
يَا مَلِكَ الزَّمَانِ ، إِنْ قَتَلْتَنِي
فَمَسْتَحِيلُ تَقْتُلُ الْحَرِيَّةَ ...

قُمْ يا طويلَ العُمُرِ ..
 من حُجْرَتِكَ الوردِيَّةِ
 وافتَحْ شبابيكَكَ ..
 للشمسِ ، وللعدلِ ، وللرعيَّةِ
 فما رآكَ الشعبُ من آخِرِ أَيَّامِ بني أُمَيَّةٍ ..
 هل أنتَ حقًّا من بني أُمَيَّةٍ ؟ ..
 أخرجْ إلى الشارعِ يا أميرَنَا ..
 واقْرَأْ .. ولو صحيفةً يوميَّةً ..

إقرأ ..

عن السويس ، والأردن ، والجولان ،
والمدائن السبيّة ..

عن اللذين يعبرون النهر نحو الضفة الغربية ..
هل يا طويل العمر .. في بلاطكم
خريطة صغيرة .. للضفة الغربية ؟ ؟ ...

الخطاب

أَوْقَفُونِي ..
 وَأَنَا أَضْحَكُ كَالْمَجْنُونِ وَحْدِي
 مِنْ خُطَابٍ كَانَ يُلْقِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 كَلَّفْتَنِي ضِحْكَتِي عَشْرَ سِنِينَ ..

سألوني ،
وأنا في غُرْفَةِ التحقيقِ ، عَمَّنْ حرَّضوني
فَضَحِكْتُ ..
وعن المال .. وعَمَّنْ مَوَّلُوني ..
فَضَحِكْتُ ..
كَتَبُوا كُلَّ إِفَادَاتي ..
ولم يَسْتَجِوبُوني ..

قال عَنِّي المَدَّعي العامُ ..
وقال الجُنْدُ حين اعتقلوني
إِنِّي ضِدَّ الحُكُومَةِ ..
لم أَكُنْ أَعْرِفُ أَن الضِّحْكَ ..
يحتاجُ لترخيص الحُكُومَةِ ..
ورُسُوم .. وطوابع ..
لم أَكُنْ أَعْرِفُ شَيْئاً ..
عن غسيل المُنْخ ..
أو فرَم الأصابع !! .

في بلادي ،
ممکنُ أن یُکُتِبَ الإنسانُ ضِدَّ الله ..
لا ضِدَّ الحَکُومَة ..
فاعذروني ، أيُّها السادة ،
إنْ کُنْتُ ضَحِکْتُ ..
کانَ في وُدِّي أن أبکی ..
ولکنِّي ضَحِکْتُ ..

كنتُ بعدَ الظُّهرِ في المقهى ..
 وكان البَهْلَوَانُ ..
 يلبسُ الطرطورَ بالرأسِ ..
 ويُلقِي كلَّ (ما يطلبُهُ المستمعُونَ)
 عن فلسطينَ التي صارت مع الأيام ،
 (ما يطلبُهُ المستمعُونَ)
 واحتفالاً مثل عيد الفِطر .. والأضحى ..
 أراجيحَ ، وكَعكاً ، وفَطائرُ ..
 وزياراتِ مقابرُ ..

كنتُ أَسْتَرَجِعُ أفكاري ..
وكانَ المُخْبِرُونَ
كالجراثيم ، على كُلِّ الفناجينِ ، وفي كُلِّ الصُّحُونِ
كنتُ أُصْنَعِي كَالوفِ البُسْطَاءِ الطَّيِّبِينَ
لكلامِ البَهْلَوَانِ
وهوَ يحكي .. ثمَّ يحكي .. ثمَّ يحكي ..
مثلَ صندوقِ العجائبِ
... وتذكَّرتُ لياليَ رَمَضَانَ
وأراجُوزَ الذي كانَ له ألفُ لسانٍ .. ولسانُ

وتذكَّرتُ فلسطينَ التي صارتُ حقيبةً
ما لها في الأرضِ صاحبُ
كان في حنجرتي ملحٌ ..
وحُزني كان في حجم الكواكبِ
فاعذروني ، أيُّها السادةُ ،
إنَّ حطمتُ صُندوقَ العجائبِ
وتَقَيَّأتُ على وجه أمير المؤمنينِ
وكبيرِ الياورانِ ..
واسترحتُ ..
كان في وُدِّي أن أبكي ..
ولكنني ضحكْتُ ..

نَشَرُوا فِي صُحُفِ الْيَوْمِ ..
 تَصَاوِيرِي عَلَى أَوَّلِ صَفْحَةٍ
 وَاعْتَرَفَاتِي ، عَلَى أَوَّلِ صَفْحَةٍ
 فَضَحِكْتُ
 قَدَّمُونِي لِلْإِذَاعَاتِ طَعَامًا
 وَلَأْسِنَانَ الصِّحَافَةِ ..
 جَعَلُونِي ، دُونَ أَنْ أُدْرِيَ ، خُرَافَةً
 رُبَطُونِي بِالسِّفَارَاتِ .. وَأَحْلَافِ الْأَجَانِبِ
 فَضَحِكْتُ ...

إِنِّي لَمْ أَشْتَغِلْ مِنْ قَبْلُ قَوَّاداً ..
وَلَا كُنْتُ حَصَاناً لِلْأَجَانِبِ
أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُسْتَوْرٌ ..
وَمَغْمُورٌ ..

وَمَحْدُودُ الْمَوَاهِبِ
أَسْمَعُ الْأَخْبَارَ كَالنَّاسِ ،
وَأَسْتَقْبِلُ مَأْمُورَ الضَّرَائِبِ
زَوْجَتِي طَيِّبَةُ الْقَلْبِ ، وَعِنْدِي وَلَدَانُ
وَأَبِي حَارِبَ ضِدَّ التُّرْكِ فِي الشَّامِ ..
وَمَاتُ ..

أنا لا أفهمُ في النحو .. وفي الصرفِ ..
وفي عِلْمِ الكلامِ ..
غير أني لم أعدُ أفهمُ ما معنى الكلامِ ..
لم أعدُ أهضم حَرْفًا
من أكاذيب أمير المؤمنين
صارت الألفاظُ مطَّاطاً ..
وصارت لغةُ الحكّامِ صَمْغاً .. وعَجِينُ ..

خَدَّرُونِي ..
بملايين الشعاراتِ .. فَنِمْتُ
وَأَرَوْنِي الْقُدْسَ فِي الْحُلْمِ .. وَلَمْ
أَجِدِ الْقُدْسَ ، وَلَا أَحْجَارَهَا ، حِينَ اسْتَفَقْتُ
فَاعْذُرُونِي ..
أَيُّهَا السَّادَةُ ، إِنْ كُنْتُ ضَحِكْتُ ..
كَانَ فِي وُدِّي أَنْ أَبْكِي ..
وَلَكِنِّي ضَحِكْتُ ..

كنتُ في المخفر مكسوراً كبِلّور كنيسة
 نافخاً (سورة ياسين) بوجه القاتلين
 لم أَكُنْ أملكُ إلا الصبرَ ..
 (والله يُحبُّ الصابرينَ)
 وجراحي كبساتين أريحا
 يُمطرُ الياقوتُ منها ..
 ويضوعُ الياسمينُ ..

وفلسطينُ على الأرضِ حَمَامَةٌ
سَقَطَتْ تحتِ نعالِ المُخْبِرِينَ
كنتُ وحدي ..
لم يَزُرْني أَحَدٌ في السجنِ .. إِلَّا
جَبَلُ الكرمِ ، والبحرُ ، وشمسُ الناصرة
كنتُ وحدي ..
وملوكُ الشرقِ كانوا جُثثًا
فوقَ مياهِ الذاكرة ..

كُنْتُ مَجْرُوحاً ..
 وَمَطْرُوحاً عَلَى وَجْهِي ، كَأَكْيَاسِ الطَّحِينِ
 أَيُّهَا السَّادَةُ : لَا تَنْدَهَشُوا ..
 كُلُّنَا فِي نَظَرِ الْحَاكِمِ ، أَكْيَاسُ طَحِينِ
 كُلُّنَا فِي مَذْبَحِ الْحَكْمِ ، خِرَافُ
 نَتَسَلَّى بِحَشِيشِ الصَّبْرِ ..
 (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) ..
 فَأَطَالَ اللَّهُ فِي عَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 نَائِبِ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ ..
 كَبِيرِ الْعَادِلِينَ ..

أيُّها السادةُ :

إني وارثُ الأرضِ الخرابِ

كلَّما جئتُ إلى بابِ الخليفةِ

سائلاً عن (شَرَمِ الشيخ) ..

وعن حيفا ..

ورامَ الله ..

والجُولان ..

أهداني خِطابُ ..

كلَّما كلَّمْتُهُ - جلَّ جلالُهُ -

عن حزينٍ ان الذي صار حشيشاً

نتعاطاهُ صباحاً .. ومساءً ..

واحتفالاً مثل عيد الفطر والأضحى ..
 وذكرى كَرْبَلَاءَ ..
 رَكِبَ السَّيَّارَةَ المَكشُوفَةَ السَّقْفِ ،
 وَغَطَّى صَدْرَهُ بِالْأَوْسِمَةِ ..
 وَرَشَّانِي بِخَطَابٍ ..
 كُلَّمَا نَادَيْتُهُ :
 يَا أَمِيرَ الْبَحْرِ ، وَالْبَرِّ ، وَيَا عَلِيَّ الْجَنَابِ
 سَيْفُ إِسْرَائِيلَ فِي رَقَبَتِنَا ..
 سَيْفُ إِسْرَائِيلَ فِي ..
 سَيْفُ إِسْ

ركبَ السيارةَ المكشوفةَ السَّقْفِ ..
إلى دار الإذاعة ..
ورَشَّاني بخطاب ..
ورماني بين أسنان الجواسيس ..
وأنياب الكلاب ..
فاعذروني ، أيُّها السادة ، إن كنتُ كَفَرْتُ
وَصَفُّوا لي صَبْرَ أَيُّوبَ دواء .. فَشَرِبْتُ
أَطْعَمُونِي ..
وَرَقَ النَّشَافُ ليلاً ونهاراً ..
فَأَكَلْتُ ...

أَدْخُلُونِي لِفَلَسْطِينَ ..
عَلَى أَنْعَامٍ (مَا يَطْلُبُهُ الْمَسْتَمْعُونَ)
أَدْخُلُونِي فِي دِهَالِيزِ الْجُنُونِ
فَاعْذُرُونِي ، أَيُّهَا السَّادَةُ ، إِنْ كُنْتُ ضَحِكْتُ
كَانَ فِي وُدِّي أَنْ أَبْكِي ..
وَلَكِنِّي ضَحِكْتُ

بانتظار غُودُو

نَنْتَظِرُ الْقِطَارُ
 نَنْتَظِرُ الْمَسَافِرَ الْخَفِيَّ كَالْأَقْدَارُ
 يَخْرُجُ مِنْ عِبَاءَةِ السَّنِينُ
 يَخْرُجُ مِنْ بَدْرِ ..
 مِنَ الْيَرْمُوكِ ..
 مِنْ حِطَّيْنِ ..
 يَخْرُجُ مِنْ سَيْفِ صِلَاحِ الدِّينِ ..

مِنْ سَنَةِ الْعِشْرِينَ
وَنَحْنُ مَرُصُوصُونَ فِي مَحْطَّةِ التَّارِيخِ
كَالسَّرْدِينَ ..

يَا سَيِّدَاتِي ، سَادَاتِي :
هَلْ تَعْرِفُونَ مَا حُرْيَةُ السَّرْدِينَ ؟
حِينَ يَكُونُ الْمَرْءُ مُضْطَرًّا
لَأَنْ يَقُولَ - رَغَمَ أَنْفِهِ - (آمِينَ)
حِينَ يَكُونُ الْجَرْحُ مُضْطَرًّا
لَأَنْ يُقَبَّلَ السَّكِينُ ..

يا سيّداتي ، سادّتي :
مِنْ سنة العشرين
ونحنُ كالدجاج في أقفاصِنَا
ننظرُ في بلاهةٍ ..
إلى خطوط سِكَّة الحديدِ
أُفقِيَّةٌ حياتُنَا ..
مثلَ خطوط سِكَّة الحديدِ ..
ضيقٌ أَيْامُنَا
مثلَ خطوط سِكَّة الحديدِ ..

ساعاتنا واقفةً ..
لا اللهُ يأتينا .. ولا موزعُ البريدُ
من سنة العشرين
حتى سنة السبعين
نجلسُ في انتظار وجه الملكِ السعيدِ
كلُّ الملوكِ يُشبهونَ بعضهم
والملكُ القديمُ ..
مثلُ الملكِ الجديدِ ...

نَنْتَظِرُ الْقِطَارَ ..
 وَنَحْمِلُ الْبَيَارِقَ الْحُمْرَاءَ .. وَالْأَزْهَارَ
 تَمْضِغُنَا ..
 مُكَبِّرَاتُ الصَّوْتِ فِي اللَّيْلِ ، وَفِي النَّهَارِ
 تَنْشُرُنَا إِذَاعَةُ الدَّوْلَةِ بِالْمَنْشَارِ
 إِنْتَبَهُوا ! ...
 إِنْتَبَهُوا ! ...
 خَمْسِينَ يَوْمًا - رُبَّمَا - تَأَخَّرَ الْقِطَارُ ..
 خَمْسِينَ عَامًا - رُبَّمَا - تَأَخَّرَ الْقِطَارُ ..
 خَمْسِينَ قَرْنًا - رُبَّمَا - تَأَخَّرَ الْقِطَارُ ..

تَقِيحَتْ أَفْخَاذُنَا ...
من كثرة الجُلُوسِ
تَقِيحَتْ فِي رَأْسِنَا الْأَفْكَارُ ..
وَصَارَ لَحْمٌ ظَهَرْنَا ..
جُزْءًا مِنَ الْجِدَارِ ..
جَاؤُوا بِنَا ، عَشْرِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ
نَحْتَ عَوِيلَ الرِّيحِ وَالْأَمْطَارِ
وَاسْتَأَجَرُوا الْبَاصَاتِ كِي تَنْقَلَنَا
وَوَزَّعُوا الْأَدْوَارَ ..

وعَلَّمُونَا ..
كالقُرُودِ الرُقَصَ ..
والعَزْفَ عَلَى المَزْمَارِ
وَدَرَّبُونَا ..
ككَلَابِ الصَّيْدِ .. كَيْفَ نَنْحَي
لِلْقَادِمِ الْمَسْكُونِ بِالدهْشَةِ والأسْرَارِ ..
إِذَا أَتَى القَطَارُ ...

لم نَرَهُ ..
 لكنَّ من رَأَوْهُ فوق الشَّاشَةِ الصَّغِيرَةِ
 يَبْتَلِعُ الزُّجَاجَ ..
 أو يَسِيرُ كَالْهُنُودِ فوق النَّارِ
 وَيُخْرِجُ الْأَرَانِبَ الْبَيْضَاءَ مِنْ جُيُوبِهِ
 وَيَقْلِبُ الْفَحْمَ إِلَى نُضَارٍ
 يُوَكِّدُونَ أَنَّهُ ..
 مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، جَلَّ شَأْنُهُ
 وَأَنَّ نُورَ وَجْهِهِ يُحِيرُ الْأَبْصَارَ ..

وَأَنَّهُ سِيَحْمَلُ الْقَمْحَ إِلَى بِيوتِنَا
وَالسَّمْنَ .. وَالطَّحِينَ .. بِالْقَنْطَارُ
وَيَجْعَلُ الْعَمِيَانَ يُبْصِرُونَ
وَيَجْعَلُ الْأَمْوَاتَ يَنْهَضُونَ
وَيَزْرَعُ الْحَنْظَةَ فِي الْبَحَارِ
وَأَنَّهُ - فِي سَنَوَاتِ حُكْمِهِ -
يُدْخِلُنَا لَجَنَّةً ..
مِنْ تَحْتِهَا تَنْسَكِبُ الْأَنْهَارُ ..

لم نَرَهُ ..
ولم نُقَبِّلْ يَدَهُ ..
لكنَّ مَنْ تَبَرَّكُوا يَوْمًا بِهِ ..
قالُوا بأنَّ صَوْتَهُ
يُحَرِّكُ الأحْجَارَ ..
وَأَنَّهُ ..
وَأَنَّهُ ..
هو العَزِيزُ .. الواحدُ .. القَهَّارُ ..

نَنْتَظِرُ الْقِطَارَ ..
مَكْسُورَةً - مِنْذُ أَتَيْنَا - سَاعَةَ الزَّمَانِ
وَالْوَقْتُ لَا يَمُرُّ ..
وَالثَوَانِي مَا لَهَا سِيْقَانُ
تَعْلُكُنَا ..
تَنْهَشُنَا ..
مَكْبَرَاتُ الصَّوْتِ بِالْأَسْنَانِ
إِنْتَبَهُوا ! ...
إِنْتَبَهُوا ! ...
لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَغَادِرَ الْمَكَانَ ..

ليشتري جريدة ..
أو كَعَكَةً ..
أو قطعةً صغرى من اللبان
لربِّه ، لا أَحَدٌ ، يقدر أن يقول :
(يا رَبَّاهُ) ..
لا أَحَدٌ ..
يقدرُ أن يدخلَ ، حتَّى ، دورةَ المياهِ ..
تعالِ يا غُودُو ..
وخلِّصْنَا من الطغاةِ والطُغَيَّانِ ..

فنحنُ محبوسُونَ في محطة التاريخ كالخِرَفَانُ
أولادُنا ناموا على أكتافِنَا ..
رثائنا ، تسممتُ بالفحم والدُخانُ
والعروضِحاتُ التي نحملُها
عن قلةِ الدواء ..

والغلاء ..

والجرمانُ ..

صادرها مُرافقُ السُلطانِ
تعال يا غودُو .. وجفَّفْ دمعنا ..
وأنقِذِ الإنسانَ من مخالبِ الإنسانِ ..

تعالَ يا غُودُو ..
 فقد تَخَشَّبتْ أَقدامُنا انتِظارُ
 وصارَ جِلْدُ وجهِنا
 كقِطعةِ الآثارِ ..
 تَبَخَّرَتْ أنهارُنا
 وهاجَرَتْ جبالُنا
 وجَفَّتِ البحارُ ..
 وأصبحتْ أعمارُنا ليس لها أعمارُ ..

تعالَ يا غُودُو .. فَإِنَّ أَرْضَنَا
تَرفضُ أَنْ تَزورَها الأَوطارُ
تَرفضُ أَنْ تَكبُرَ في تَرابنا الأشجارُ
تعالَ .. فالنساءُ لا يَحْبِلُنَ ..
والحليبُ لا يَدُرُّ في الأبقارُ
إِنَّ لِمَ تَجيءُ من أَجلنا نحنُ ..
فمن أَجل المَلايينَ من الصِغارُ ..

من أجل شعبٍ طيّبٍ
ما زالَ في أحلامِهِ
يُقرِّشُ الأحجارَ ..
يُقرِّشُ المُعلَّقاتِ العَشرَ ..
والجرائدَ القَديمةَ ..
ونَشرةَ الأخبارِ ..

مُورفین

١

اللفظة طابة مطاط
يقذفها الحاكم من شرفته للشارع
ووراء الطابة يجري الشعب
ويلهث كالكلب الجائع...

٢

اللفظة في الشرق العربي
أراجوز بارع
يتكلم سبعة السنة
ويطيل بقبة حمراء..
ويبيع الجنة للبسطاء..
وأساور من خرز لامع..
ويبيع لهم .. فثراناً بيضاً .. وضافع ..

٣

اللفظةُ جَسَدٌ مهتريُّ
ضاجعُهُ الكاتبُ ، والصُّحُفِيُّ ،
وضاجعُهُ ...
شيخُ الجامعِ ..

٤

اللفظةُ إبرَةُ مُورفين
يحققُها الحاكمُ للجُمهُورِ
من القرنِ السابعِ ..
اللفظةُ في بلدي امرأةٌ
تحترفُ الفُحشَ من القرنِ السابعِ ..

٣٠٠

قراءةٌ على أضحة المجازيب

أَرْفُضُكُمْ جَمِيعَكُمْ
 وَأَخْتُمُ الْحِوَارَ
 لَمْ يَبْقَ عِنْدِي لُغَةٌ
 أَضْرَمْتُ فِي مُعَاجِمِي
 وَفِي ثِيَابِي النَّارَ ..

هَرَبْتُ مِنْ عَمْرٍو بْنِ كُلْثُومٍ
وَمِنْ رَائِيَةِ الْفَرَزْدَقِ الطَّوِيلَةِ
هَاجَرْتُ مِنْ صَوْتِي ..
وَمِنْ كِتَابَتِي ..
هَاجَرْتُ مِنْ وَلَادَتِي ..
هَاجَرْتُ مِنْ مَدَائِنِ الْمَلْحِ ،
وَمِنْ قِصَائِدِ الْفَخَّارِ ..

حملتُ أشجاري إلى صحرائكم
فانتحرتُ ..

من يأسها الأشجارُ
حملتُ أمطاري إلى جفافكم
فشحَّتِ الأمطارُ
زَرَعْتُ في أرحامكم قصائدي
فاختنقتُ ..

يا رَحِمًا .. يَخْبِلُ بالشوكِ والغُبَارِ ..

حاولتُ أن أقلعكمُ
مِنْ دَبِقِ التاريخِ ..
مِنْ رُزْنَامَةِ الأقدارِ ..
وَمِنْ (قِفَا نَبْكَ) ...
وَمِنْ عبادةِ الأحجارِ ..
حاولتُ أن أفكَّ عن طَرِوَادَةِ حِصَارِهَا ،
حَاصِرَتِي الحِصَارُ .

أَرْفُضُكُمْ ..

أَرْفُضُكُمْ ..

يَا مَنْ صَنَعْتُمْ رَبَّكُمْ مِنْ عَجْوَةٍ ..

لِكُلِّ مَجْدُوبٍ بَنَيْتُمْ قُبَّةً

وَكُلُّ دَجَالٍ أَقَمْتُمْ حَوْلَهُ مَزَارَ

حَاوَلْتُ أَنْ أَنْقِذَكُمْ

مِنْ سَاعَةِ الرَّمْلِ الَّتِي تَبْلُعُكُمْ

فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

مِنْ الْحِجَابَاتِ عَلَى صُدُورِكُمْ
مِنْ الْقَرَاءَاتِ الَّتِي تُتْلَى عَلَى قُبُورِكُمْ
مِنْ حَلَقَاتِ الذِّكْرِ ،
مِنْ قِرَاءَةِ الْكِفِّ ،
وَرَقْصِ الزَّارِ ..
حَاولْتُ أَنْ أَدُقَّ فِي جُلُودِكُمْ مِسْمَارَ
يُسْتُ مِنْ جُلُودِكُمْ
يُسْتُ مِنْ أَظْفَرِي
يُسْتُ مِنْ سَمَاكَةِ الْجِدَارِ ...

مِنْ مَلَكِي ..
 شَنَقْتُ نَفْسِي أَمْسَ ، فِي ضِفَائِرِ الْحَبِيبَةِ ..
 لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْعَلَ الْحُبَّ .. كَمَا عَوَّدَتْهَا ..
 كَانَتْ خُطُوطُ جِسْمِهَا غَرِيبَةً
 كَانَ السَّرِيرُ بَارِداً ..
 وَالْبَرْدُ كَانَ بَارِداً ..
 وَنَهَدْتُ مِنْ أَحِبُّهَا لَيْمُونَةً كَثِيبَةً
 بَعْدَ حَزِيرَانٍ ، أَضَعْتُ شَهْوَتِي
 سَقَطْتُ فَوْقَ سَاعِدِي حَبِيبَتِي
 كَالرَّايَةِ الْمَثْقُوبَةِ ..

أَنْظُرُ كَالْمَشْدُوهِ .. فِي خَرِيطَةِ الْعُرُوبَةِ
فِي كُلِّ شَبِيرٍ أُعْلِنْتَ خِلَافَةً

وَحَاكَمُ بِأَمْرِهِ ..

وَحَيْمَةٌ مَنْصُوبَةٌ

تُضْحِكُنِي الْأَعْلَامُ .. وَالْأَخْتَامُ ..

وَالْمَمَالِكُ التَّرْكِييَّةُ ..

وَسُلْطَنَاتُ الْقَشْرِ .. وَالْكَرْتُونِ ،

وَالشَّرَائِعُ الْعَجِيبَةُ ..

وَمَشِيخَاتُ النَفْطِ .. وَالزَّوْاجِ بِالْمُتَعَةِ ..

وَالْغَرَائِزُ الْمَشْبُوبَةُ ..

أمشي غريبَ الوجه في غرناطةٍ ..
 أحتضنُ الأطفالَ ..
 والأشجارَ ..
 والمآذنَ المقلوبةَ ..
 فهأُنا الم رابطونَ رابطُوا ..
 وهأُنا الموحّدونَ خيمُوا ...
 وهأُنا .. مجالسُ الشرابِ .. والنساءِ ..
 والغيوبةَ ..
 وهأُنا .. عباءةٌ داميةٌ
 وهأُنا ... مشنقةٌ منصوبةٌ ..

تَنَاقُثِي ..
 كَالوَرَقِ الْيَابِسِ ، يَا قِبَائِلَ الْعُرُوبَةِ
 وَاقْتَتِلِي ..
 وَاخْتَصِمِي ..
 وَانْتَحِرِي ..
 يَا طَبْعَةً ثَانِيَةً ..
 مِنْ سِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ الْمَغْلُوبَةِ ..

حوارُ مع ملك المَغُولِ

يَا مَلِكَ الْمَغُولِ ..
 يَا وَارِثَ الْجَزْمَةِ .. وَالْكِرْبَاجِ ..
 عَنْ جَدِّكَ أَرْطُغْرُولَ ..
 يَا مَنْ تَرَانَا كُلَّنَا خِيُولَ ..
 تَرْكَبُهَا ..
 فِي زَفَّةِ الْأَبْوَاقِ وَالطُّبُولِ
 لَا فَرْقَ - مِنْ نَوَافِذِ الْقُصُورِ -
 بَيْنَ النَّاسِ وَالْخِيُولِ ..

يَا مَلِكَ الْمَغُولِ ..
 يَا أَيُّهَا الْغَاضِبُ مِنْ صَهِيلِنَا ..
 يَا أَيُّهَا الْخَائِفُ مِنْ تَفْتُحِ الْحُقُولِ
 أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ ..
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْتَلَنِي سَيَافُكُمْ مَسْرُورٌ ..
 وَقَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ شَهُودُ الزُّورِ ..

أريدُ أن أقولَ كِلِمَتَيْنِ ..
لزوجتي الحاملِ من شُهُورٍ ..
وأصدقائي كُلِّهِمْ
وشُعبيَ المَقهُورَ ..
أريدُ أن أقولَ : إني شاعرٌ ..
أَحْمِلُ في حُنْجرتي عُصْفُورَ ..
أَرْفُضُ أن أبيعَهُ ..
وَأنتَ من حُنْجرتي ..
تريدُ أن تُصَادِرَ العُصْفُورَ ..

يا مَلِكَ المَغُولِ ..
 يا قَاهِرَ الجيوشِ ، يا مُدْخِرَ الرُّؤوسِ ،
 يا مُدَوِّخَ البُحُورِ ..
 يا عَاجِزَ الحَديدِ ، يا مُفَتِّتَ الصُّخُورِ
 يا آكِلَ الأَطفالِ .. يا مُغْتَصِبَ الأَبْكَارِ ..
 يا مُفْتَرِسَ العُطُورِ ..
 وَاَعْجَبِي ! ...
 وَاَعْجَبِي ! ..
 أَنْتَ .. وَالشُّرْطَةُ .. وَالْجَيْشُ ..
 عَلَى عُصْفُورٍ ؟ ؟ ؟ ...

إلى الجندي العزّيّ المجهول

لو يُقْتَلُونَ .. مثلما قُتِلْتُ
 لو يَعْرِفُونَ أَن يَمُوتُوا .. مثلما فَعَلْتُ ..
 لو مُدْمِنُوا الكلام في بلادنا
 قد بَذَلُوا نِصْفَ الذي بَذَلْتُ ..
 لو أَنَّهُمْ من خَلْف طاولَاتِهِمْ
 قد خَرَجُوا .. كما خَرَجْتَ أَنْتَ ..

واخترقوا ..
في لهب المجد ، كما اخترقت ..
لم يسقط المسيح مذبحاً ..
على تراب الناصرة ..
ولا استيحت تغلب
وانكسر المناذرة ..
لو قرأوا ..
- وهم ينامون على صدور محظياتهم -
بعض الذي كتبت ..

لكنَّ من عرفتهم ..
 ظلُّوا على الحال التي عَرَفَتْ ..
 يُدَخِّنُونَ ..
 يَسْكُرُونَ ..
 يَقْتُلُونَ الوقتَ ..
 وَيُطْعَمُونَ الشعبَ أوراقَ البلاغاتِ - كما عَلِمْتُ -
 وبعضُهُمْ يغوصُ في وُحُولِهِ ..
 وبعضُهُمْ يَغُصُّ في بترولِهِ ..
 وبعضُهُمْ .. قد أغلقَ البابَ على حريمِهِ ..
 ومُنْتَهَى نضالِهِ ..
 جاريةٌ في التَّخْتِ ! ! .

يا أَشْرَفَ الْقَتْلَى ..
 على أَجْفَانِنَا أَزْهَرَتْ ..
 الْخُطْوَةُ الْأُولَى إِلَى تَحْرِيرِنَا
 أَنْتَ بِهَا بَدَأْتَ ..
 يَا أَيُّهَا الْغَارِقُ فِي دِمَائِهِ
 جَمِيعُهُمْ قَدْ كَذَبُوا ..
 وَأَنْتَ قَدْ صَدَقْتَ ..
 جَمِيعُهُمْ قَدْ هُزِمُوا ..
 وَوَحْدَكَ انْتَصَرْتَ ...

طريق واحد

أُرِيدُ بُنْدُقِيَّةً ..
خَاتَمُ أُمِّي بَعْتُهُ
مِنْ أَجْلِ بُنْدُقِيَّةٍ
مَحْفَظَتِي رَهْنَتُهَا
دَفَاتِرِي رَهْنَتُهَا
مِنْ أَجْلِ بُنْدُقِيَّةٍ .
اللُّغَةُ الَّتِي بِهَا دَرَسْنَا
الْكُتُبُ الَّتِي بِهَا قَرَأْنَا
قِصَائِدُ الشَّعْرِ الَّتِي حَفَظْنَا ..
لَيْسَتْ تُسَاوِي دِرْهَمًا
أَمَامَ بُنْدُقِيَّةٍ ..

أصبحَ عندي الآنَ بُنْدُقيَّةٌ ..
إلى فلسطينَ خذوني معكمُ
إلى رُبِّي حزينَةً كوجهِ مجدليَّةٍ
إلى القِبابِ الخُضِرِ ، والحجارةِ النَبِيَّةِ
عشرونَ عاماً .. وأنا ..
أُبْحَثُ عن أرضٍ .. وعن هويَّةٍ ..
أُبْحَثُ عن بيتي الذي هناكُ
عن وطني المحاطِ بالأسلاكِ ..
أُبْحَثُ عن طفولتي .. وعن رفاقِ حَارَتي
عن كُتُبِي .. عن صُورِي ..
عن كُلِّ ركنٍ دافئٍ .. وكُلِّ مَزهريَّةٍ ..

أصبحَ عندي الآنَ بُنْدُقِيَّةٌ
 إلى فلسطينَ خذوني مَعَكُمْ ، يا أيُّها الرجالُ
 أريدُ أن أَعِيشَ أو أَمُوتَ كالرجالِ
 أريدُ أن أنبِتَ في ترابِها .. زيتونَةً أو حَقْلَ برتُقَالٍ
 أو زَهْرَةً شَدِيَّةً ..
 قُولُوا لِمَن يَسْأَلُ عَن قَضِيَّتِي ..
 بارُودَتِي .. صارتْ هِيَ القَضِيَّةُ ..

أصبحَ عندي الآنَ بُنْدُقِيَّةٌ
 أصبحتُ في قائِمةِ الثَوَّارِ
 أَفْتَرِشُ الأَشْوَكَ والغُبَارَ
 وألبسُ المَنِيَّةَ ..
 مَشِيئَةُ الأَقْدَارِ لا تَرُدُّنِي
 أنا الَّذِي أُغَيِّرُ الأَقْدَارَ ..

يا أيُّها الثَّوَّارُ ..
 في القدس ، في الخليل ، في ييسان ، في الأغوار
 في بيت لحم ..
 حيثُ كُتِّمَ أيُّها الأحرارُ ..
 تقدَّمُوا ...
 تقدَّمُوا ..
 فقِصَّةُ السلامِ مسرحيَّةٌ
 والعدْلُ مسرحيَّةٌ ..
 إلى فلسطينَ طريقٌ واحدٌ
 يمرُّ من فَوْهَةِ بُنْدُقيَّةٍ ...

لصُومُ المتَّاحِف

نَسْطُو عَلَى مَتَاحِفِ التَّارِيخِ فِي الظَّلَامِ
وَنَسْرِقُ الْخِيُولَ ،
وَالدُّرُوعَ ،
وَالْأَعْلَامَ ..
نَسْرِقُ سَيْفَ خَالِدٍ ..
نَسْرِقُ دِيوَانَ أَبِي تَمَّامٍ ..
وَنَسْرِقُ الْمَجْدَ الَّذِي يَخْصُهُمْ
وَنَسْرِقُ الْأَيَّامَ
خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَدْفِنَ السَّذَاجَةَ
وَنَتْرِكَ التَّارِيخَ فِي الثَّلَاجَةِ

تعريف غير كلاسيكي للوطن

وطني !
يَفْهَمُكَ السُّدَجُ رَيْحَانًا وِراحُ
ويظنُّونَكَ درويشاً يَهْزُ الرُّأْسَ ..
أو رقصَ سَمَاحٍ ..
ويظنُّونَكَ في غَفْلَتِهِمْ
نَعْمَةً من بُزُقٍ ..
وقناني عَرَقٍ ..
ومواويلَ تُغْنِي للصباحِ

وَطَنِي !
يا أَيُّهَا الصَّدْرُ الْمُغَطَّى بِالْجِرَاحِ
وَطَنِي ..
مَنْ أَنْتَ ؟ إِنْ لَمْ تَنْفَجِرْ
تَحْتَ إِسْرَائِيلَ ، صَنْدُوقَ سِلَاحٍ ...

خطابُ شخصيٍّ
إلى شهر ح�يران

كُنْ يا حزيناً انفجاراً ..
 في جماجمنا القديمة ..
 كُنْسْ أَلُوفَ المفرداتِ ،
 وَكُنْسِ الأمثالَ ، والحِكَمَ القديمةَ
 مَزَّقْ عباءتنا التي بليتْ
 وَمَزَّقْ جلدَ أوجُهنا الدميمةَ ..
 وَكُنِ التَغْيِيرَ .. وَالتَطَرُّفَ ..
 والخُرُوجَ على الخطوطِ المُستقيمةِ ..

أَطْلِقْ عَلَى الْمَاضِي الرِّصَاصَ ..
كُنِ الْمُسَدَّسَ ..
وَالْجَرِيمَةَ ..
مَنْ بَعْدَ مَوْتِ اللَّهِ مَشْنُوقاً ..
عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ..
لَمْ تَبْقَ لِلصَّلَاةِ قِيَمَةٌ ..
لَمْ يَبْقَ لِلْإِيمَانِ .. أَوْ لِلْكَفْرِ قِيَمَةٌ ..

قصيدةُ إعتذارٍ لأبي تمام

ألقيت في مهرجان أبي تمام بالموصل
في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١

أَحِبَّائِي :

إِذَا جِئْنَا لِنَحْضَرَ حَفْلَةً لِلزَّارِ ..
 مِنْهَا يَضْجُرُ الضَّجْرُ
 إِذَا كَانَتْ طُبُولُ الشَّعْرِ ، يَا سَادَةَ
 تُفَرِّقُنَا .. وَتَجْمَعُنَا
 وَتُعْطِينَا حُبُّوبَ النُّومِ فِي فَمِنَا
 وَتُسْطَلُّنَا .. وَتَكْسِرُنَا ..
 كَمَا الْأَوْرَاقُ فِي تَشْرِينِ تَنْكِسِرُ
 فَإِنِّي سَوْفَ أَعْتَذِرُ ..

أُحِبَّائِي :
 إِذَا كُنَّا سَرَقُصٌ دُونَ سَيِّقَانٍ .. كَعَادَتِنَا
 وَنَخْطُبُ دُونَ أَسْنَانٍ .. كَعَادَتِنَا ..
 وَنُؤْمِنُ دُونَ إِيمَانٍ .. كَعَادَتِنَا ..
 وَنَشْتَقُ كُلَّ مَنْ جَاؤُوا إِلَى الْقَاعَةِ
 عَلَى حَبْلِ طَوِيلٍ مِنْ بِلَاغَتِنَا ..
 سَأَجْمَعُ كُلَّ أَوْرَاقِي ...
 وَأَعْتَذِرُ ...

إِذَا كُنَّا سَبَقَى أَيُّهَا السَّادَةُ
 لِيَوْمِ الدِّينِ .. مُخْتَلَفِينَ حَوْلَ كِتَابَةِ الْهَمْزَةِ ..
 وَحَوْلَ قَصِيدَةٍ نُسِبَتْ إِلَى عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ ...
 إِذَا كُنَّا سَنَقْرَأُ مَرَّةً أُخْرَى
 قِصَائِدَنَا الَّتِي كُنَّا قَرَأْنَاهَا ..
 وَنَمَضُغُ مَرَّةً أُخْرَى
 حُرُوفَ النَّصْبِ وَالْجَرِّ .. الَّتِي كُنَّا مَضَغْنَاهَا
 إِذَا كُنَّا سَنَكْذِبُ مَرَّةً أُخْرَى
 وَنَخْدَعُ مَرَّةً أُخْرَى الْجَمَاهِيرَ الَّتِي كُنَّا خَدَعْنَاهَا
 وَنُرْعِدُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَا مَطَرٌ ...
 سَاجِمُ كُلِّ أَوْرَاقٍ ..
 وَأَعْتَذِرُ ..

إذا كُنَّا تلاقينَا
 لكي نبادلَ الأنخابَ ، أو نسكّرَ ..
 ونستلقي على تختٍ من الريحان والعنبرِ
 إذا كُنَّا نظنُّ الشعرَ راقصةً .. مع الأفراح تستأجرُ
 وفي الميلاد ، والتأين تستأجرُ
 ونتلوهُ كما نتلو كلامَ الزير أو عنترُ
 إذا كانت همومُ الشعرِ يا سادَهُ
 هي الترفيهَ عن معشوقة القيصرِ
 ورشوة كلِّ من في القصر من حراسٍ .. ومن عسكرٍ ..
 إذا كُنَّا سنسرقُ خطبةَ الحجَّاجِ .. والحجَّاجِ .. والمنبرِ ..
 ونذبحُ بعضنا بعضاً لنعرفَ مَنْ بنا أشعرُ ..
 فأكبرُ شاعرٍ فينا هو الخنجرُ ...

أَبَا تَمَّامَ .. أَيْنَ تَكُونُ .. أَيْنَ حَدِيثُكَ الْعَطِيرُ ؟
 وَأَيْنَ يَدُ مَغَامِرَةٍ تَسَافِرُ فِي مَجَاهِيلٍ ، وَتَبْتَكَرُ ..
 أَبَا تَمَّامَ ..

أَرْمَلَةٌ قَصَائِدُنَا .. وَأَرْمَلَةٌ كِتَابَتُنَا ..
 وَأَرْمَلَةٌ هِيَ الْأَلْفَاظُ وَالصُّورُ ..

فَلَا مَاءٌ يَسِيلُ عَلَى دِفَاتِرِنَا ..

وَلَا رِيحٌ تَهْبُ عَلَى مَرَاكِبِنَا

وَلَا شَمْسٌ ، وَلَا قَمَرٌ

أَبَا تَمَّامَ ، دَارَ الشَّعْرِ دَوْرَتُهُ

وَنَارَ اللَّفْظِ .. وَالْقَامُوسُ ..

نَارَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ..

وَمَلَّ الْبَحْرُ زُرْقَتَهُ ..
وَمَلَّ جُدُوْعَهُ الشَّجَرُ
وَنَحْنُ هُنَا ..
كَأَهْلِ الْكَهْفِ .. لَا عِلْمُ وَلَا خَبَرُ
فَلَا تُؤْأَرُّنَا ثَارُؤَا ..
وَلَا شُعْرَاؤُنَا شَعْرُؤَا ..
أَبَا تَمَّامَ : لَا تَقْرَأُ قِصَائِدَنَا ..
فَكُلُّ قِصُورِنَا وَرَقٌ ..
وَكُلُّ دُمُوعِنَا حَجَرٌ ..

أَبَا تَمَّامَ : إِنَّ الشَّعْرَ فِي أَعْمَاقِهِ سَفَرُ
وإِنْ حَارُّ إِلَى الْآتِي .. وَكَشَفُ لَيْسَ يُنْتَظَرُ
وَلَكِنَّا .. جَعَلْنَا مِنْهُ شَيْئًا يَشْبَهُ الزَّفَّةَ
وَإِقْقَاعًا نُحَاسِيًّا ، يَدُقُّ كَأَنَّهُ الْقَدَرُ ..

أَمِيرَ الْحَرْفِ .. سَامِحُنَا
فَقَدْ خُنَّا جَمِيعًا مَهْنَةَ الْحَرْفِ
وَأَرْهَقْنَاهُ بِالتَّشْطِيرِ ، وَالتَّرْبِيعِ ، وَالتَّخْمِيسِ ، وَالْوَصْفِ
أَبَا تَمَّامَ .. إِنَّ النَّارَ تَأْكُلُنَا
وَمَا زِلْنَا نَجَادِلُ بَعْضُنَا بَعْضًا ..
عَنِ الْمَصْرُوفِ .. وَالْمَمْنُوعِ مِنْ صَرْفٍ ..
وَجَيْشُ الْغَاصِبِ الْمُحْتَلِّ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ !! ..

ومازلنا نَطْقُطُقُ عَظْمَ أَرْجُلِنَا
ونقعدُ في بيوت الله ننتظرُ ..
بأنْ يأتي الأمامُ عليُّ .. أو يأتي لنا عمرُ
ولنْ يأتوا .. ولنْ يأتوا ..
فلا أحدُ بسيف سواه ينتصرُ ..

٨

أبَا تَمَامَ : إِنَّ النَّاسَ بِالْكَلِمَاتِ قَدْ كَفَرُوا
وبالشعراء قَدْ كَفَرُوا ..
فَقُلْ لِي أَيُّهَا الشَّاعِرُ
لماذا شعرنا العربيُّ قَدْ يَبْسُ مَفَاصِلُهُ
من التكرار ، وَاصْفَرَّتْ سَنَابِلُهُ ..
وَقُلْ لِي أَيُّهَا الشَّاعِرُ
لماذا الشِّعْرُ - حِينَ يَشِيخُ -
لا يَسْتَلُ سِكِّيناً .. وَيَنْتَحِرُ ؟ ؟

جمال عبد الناصر

قَتَلْنَاكَ .. يَا آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ
قَتَلْنَاكَ ..

لَيْسَ جَدِيداً عَلَيْنَا
اغْتِيَالُ الصَّحَابَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ
فَكَمْ مِنْ رَسُولٍ قَتَلْنَا ..
وَكَمْ مِنْ إِمَامٍ ذَبَّحْنَاهُ وَهُوَ يَصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ ..
فَتَارِيخُنَا كُلُّهُ مِخْنَةٌ ..
وَأَيَّامُنَا كُلُّهَا كَرْبَلَاءُ ...

نَزَلَتْ عَلَيْنَا كِتَابًا جَمِيلًا
 وَلَكِنَّا لَا نُجِيدُ الْقِرَاءَةَ ..
 وَسَافَرْتَ فِينَا لِأَرْضِ الْبَرَاءَةِ ..
 وَلَكِنَّا مَا قَبِلْنَا الرِّحِيلَا
 تَرَكْنَاكَ فِي شَمْسِ سِينَاءَ وَحَدَّكَ ..
 تُكَلِّمُ رَبَّكَ فِي الطُّورِ وَحَدَّكَ ..
 وَتَعْرِى .. وَتَشْقَى .. وَتَعْطَشُ وَحَدَّكَ ..
 وَنَحْنُ هُنَا .. نَجْلِسُ الْقَرْفُصَاءَ
 نَبِيعُ الشَّعَارَاتِ لِلْأَغْيَاءِ
 وَنَحْشُو الْجُمَاهِيرَ تَبْنَاءَ .. وَقَشَاءَ ..
 وَتَرْكُهُمْ يَعْكَوْنَ الْهَوَاءَ

قَتَلْنَاكَ .. يَا جَبَلِ الْكِبْرِيَاءِ
 وَأَخِيرَ قَنْدِيلِ زَيْتٍ
 يُضِيءُ لَنَا ، فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ
 وَأَخِيرَ سَيْفٍ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ
 قَتَلْنَاكَ نَحْنُ بِكَلْتَا يَدَيْنَا ..
 وَقُلْنَا : الْمَنِيَّةُ
 لِمَاذَا قَبِلْتَ الْمَجِيءَ إِلَيْنَا ؟
 فَمِثْلُكَ كَانَ كَثِيرًا عَلَيْنَا ..

سَقَيْنَاكَ سُمَّ الْعُرُوبَةِ ، حَتَّى شَبِعْتَ ..
رَمَيْنَاكَ فِي نَارِ عَمَّانَ ، حَتَّى احْتَرَقْتَ
أَرَيْنَاكَ غَدَرَ الْعُرُوبَةِ ، حَتَّى كَفَرْتَ
لَمَّا ظَهَرْتَ بِأَرْضِ النِّفَاقِ ..
لَمَّا ظَهَرْتَ ؟

فَنَحْنُ شُعُوبٌ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ
وَنَحْنُ التَّقَلُّبُ ..
نَحْنُ التَّذَبُّدُ ..

وَالْبَاطِنِيَّةُ ..

نُبَايِعُ أَرْبَابَنَا فِي الصَّبَاحِ
وَنَأْكُلُهُمْ .. حِينَ تَأْتِي الْعَشِيَّةُ ..

قَتَلْنَاكَ ..

يا حُبَّنَا وَهَوَانَا ..

وَكُنْتُ الصَّدِيقَ ، وَكُنْتُ الصَّدُوقَ ،

وَكُنْتُ أَبَانَا ..

وَحِينَ غَسَلْنَا يَدَيْنَا ..

اِكْتَشَفْنَا ..

بَأَنَّا قَتَلْنَا مُنَانَا ..

وَأَنَّ دِمَاءَكَ فَوْقَ الْوَسَادَةِ ..

كَانَتْ دِمَانَا ..

نَفَضْتَ غُبَارَ الدِراوِيشِ عَنَّا
أَعَدْتَ إِلَيْنَا صِبَانًا
وَسَافَرْتَ فِينَا إِلَى الْمُسْتَحِيلِ
وَعَلَّمْتَنَا الزَّهْوَ وَالْعُنْفُوانَا ..
وَلَكُنَّا ..

حِينَ طَالَ الْمَسِيرُ عَلَيْنَا
وَطَالَتْ أَظْفَرُنَا .. وَلِحَانًا ..
قَتَلْنَا الْحِصَانَا ..
فَتَبَّتْ يَدَانَا ..
فَتَبَّتْ يَدَانَا ..

أَتَيْنَا إِلَيْكَ بَعَاهَاتِنَا
وَأُحْقَادِنَا .. وَانْجِرَافَاتِنَا
إِلَى أَنْ ذَبَحْنَاكَ ذَبْحًا
بَسِيفَ أَسَانَا
فَلَيْتَكَ فِي أَرْضِنَا مَا ظَهَرْتَ ..
وَلَيْتَكَ كُنْتَ نَبِيَّ سِوَانَا ..

* * *

أَبَا خَالِدٍ .. يَا قَصِيدَةَ شِعْرِ
تُقَالُ ،
فَيَخْضَرُّ مِنْهَا الْمِدَادُ ..
إِلَى أَيْنَ ؟
يَا فَارِسَ الْحُلُمِ تَمْضِي ..
وَمَا الشَّوْطُ .. حِينَ يَمُوتُ الْجَوَادُ ؟
إِلَى أَيْنَ ؟
كُلُّ الْأَسَاطِيرِ مَاتَتْ
بِمَوْتِكَ ، وَانْتَحَرَتْ شَهْرَزَادُ ..

وراء الجنازة .. سارت قُرَيْشُ
فهذا هشامٌ ..
وهذا زيادٌ ..
وهذا ، يُريقُ الدموعَ عليكُ
وخنجره ، تحت ثوب الحِداثِ
وهذا يُجاهدُ في نومه ،
وفي الصحو ، يبكي عليه الجِهادُ ..
وهذا يحاولُ بَعْدَكَ مُلْكاً ..
وبَعْدَكَ ..
كلُّ المُلوكِ رَمَادٌ ...

وَفُودُ الْخَوَارِجِ .. جَاءَتْ جَمِيعاً
لَتَنْظُمَ فِيكَ مَلَا حِمَّ عِشْقٍ ..
فَمَنْ كَفَرُوكَ ..
وَمَنْ خَوَّنُوكَ ..
وَمَنْ صَلَبُوكَ بِيَابِ دِمَشْقٍ ...

* * *

أُنَادِي عَلَيْكَ .. أبا خَالِدٍ
وَأَعْرِفُ أَنِّي أُنَادِي بِوَادٍ
وَأَعْرِفُ أَنَّكَ لَنْ تَسْتَجِيبَ
وَأَنَّ الْخَوَارِقَ لَيْسَتْ تُعَادُ ..

المهم الرابع

السَّيِّدُ نَامَ ..

السَّيِّدُ نَامَ ..

السَّيِّدُ نَامَ كَنُومِ السَّيْفِ الْعَائِدِ مِنْ إِحْدَى الْغَزَوَاتِ

السَّيِّدُ يَرْقُدُ مِثْلَ الطِّفْلِ الْغَافِي فِي حُضْنِ الْغَابَاتِ

السَّيِّدُ نَامَ ،

وَكَيْفَ أَصَدِّقُ أَنَّ الْهَرَمَ الرَّابِعَ مَاتَ ؟

القائدُ لم يَذْهَبْ أبداً
بل دخلَ الغُرْفَةَ كي يرتاحُ
وسيصحُّو حين تُطلُّ الشمسُ
كما يصحُّو عطرُ التُّفَّاحِ
الخبزُ سيأْكُلُهُ مَعَنَا ..
وسيشربُ قهوتَهُ مَعَنَا ..
ونقولُ لَهُ ..
ويقولُ لنا ..
القائدُ يَشْعُرُ بالإرهاقِ ،
فخلَّوهُ يَغْفُو سَاعَاتٌ ...

يَا مَنْ تَبْكُونَ عَلَى نَاصِرٍ
 السَّيِّدُ كَانَ صَدِيقَ الشَّمْسِ ،
 فَكُفُّوا عَنْ سَكَبِ الْعَبْرَاتِ
 السَّيِّدُ مَا زَالَ هُنَا ..
 يَتَمَشَّى فَوْقَ جَسُورِ النَّيْلِ ،
 وَيَجْلِسُ فِي ظِلِّ النَّخْلَاتِ
 وَيَزُورُ الْجِيزَةَ عِنْدَ الْفَجْرِ
 لِيَلْتَمَ حَجَرُ الْأَهْرَامَاتِ
 يَسْأَلُ عَنْ مِصْرَ .. وَمَنْ فِي مِصْرَ ..
 وَيَسْقِي أَزْهَارَ الشُّرُفَاتِ

وَيُصَلِّي الْجُمُعَةَ .. وَالْعِيدَيْنِ ..
ويَقْضِي للناس الحاجاتُ
ما زالَ هُنَا عَبْدُ الناصرِ
في طَمِي النِيلِ ، وزَهْر القُطْنِ ،
وفي أطواقِ الفَلاحاتِ ..
في فَرَحِ الشعبِ ..
وحُزْنِ الشعبِ ..
وفي الأمثالِ وفي الكَلِماتِ ..
ما زالَ هُنَا عَبْدُ الناصرِ
من قالَ الهرمُ الرابعُ ماتَ ؟

يا مَنْ يتساءلُ : أين مضى عبدُ الناصر ؟
 يا مَنْ يتساءلُ :
 هل يأتي عبدُ الناصر ؟
 السيدُ موجودٌ فينا ..
 موجودٌ في أرغفة الخبزِ ،
 وفي أزهار أوانينا
 مرسومٌ فوق نجوم الصيفِ ،
 وفوقَ رمال شواطئنا ..

موجودٌ في أوراق المصحفِ ،
في صلوات مُصلِّينا ..
موجودٌ في كَلِمَاتِ الحُبِّ ،
وفي أصوات مُغنِّينا
موجودٌ في عَرَقِ العُمَالِ ،
وفي أسْوَانِ ، وفي سِينَا
مكتوبٌ فوق بِنَادِقِنَا ..
مكتوبٌ فوقَ تَحَدِّينَا
السَّيِّدُ نَامَ .. وإن رَجَعْتُ
أَسْرَابُ الطَّيْرِ ،
سَيَّاتِنَا ...

رسالةٌ إلى جمال عبد الناصر

هذا خطابٌ عاجلٌ إليكُ
 من أرضٍ مِصرَ الطَّيِّبَةِ
 مِنْ ليلها المشغُولِ بالفيروزِ والجواهرِ
 ومن مقاهي سَيِّدي الحُسَيْنِ ، من حداثقِ القناطِرِ
 من تُرَعِ النيلِ التي تَرَكَتْهَا .. حزينَةَ الضفائرِ
 هذا خطابٌ عاجلٌ إليكُ
 من الملايينِ التي قد أَدَمَنْتَ هَوَاكَ
 من الملايينِ التي تُريدُ أن تَرَكَ
 عندي خطابٌ كُلُّهُ أَشْجَانُ
 لكنِّي .. لكنِّي يا سَيِّدي
 لا أعرفُ العُنْوانَ ..

الزرعُ في الغيطان ، والأولادُ في البلدِ
 ومولدُ النبي ،
 والمآذنُ الزرقاءُ ،
 والأجراسُ في يوم الأحد
 وهذه القاهرةُ التي غَفَتْ
 كرهرةٍ بيضاء في شعر الأبدِ
 يُسلمونَ كلُّهمُ عليكُ
 يُقبلونَ كلُّهمُ يدَيْكُ
 ويسألونَ عنكَ كلَّ قادمٍ إلى البلدِ
 متى تعودُ للبلدِ؟..

حَمَائِمُ الْأَزْهَرِ ، يَا حَبِيبَنَا ، تُهْدِي لَكَ السَّلَامَ
 مُعَدَّيَاتُ النِّيلِ ، يَا حَبِيبَنَا ، تُهْدِي لَكَ السَّلَامَ
 وَالْقَطْنُ فِي الْحَقُولِ ، وَالنَّخِيلُ ، وَالْغَمَامُ
 جَمِيعُهَا .. جَمِيعُهَا .. تُهْدِي لَكَ السَّلَامَ
 كُرْسِيُّكَ الْمَهْجُورُ فِي (مِنْشِئَةِ الْبَكْرِيِّ) يَبْكِي فَارِسَ الْأَحْلَامِ
 وَالصَّبْرُ لَا صَبْرَ لَهُ ..
 وَالنَّوْمُ لَا يَنَامُ ..
 وَسَاعَةُ الْجِدَارِ ، مِنْ ذُھُولِهَا ، ضَيَّعَتِ الْأَيَّامُ
 يَا مَنْ سَكَنْتَ الْوَقْتَ ، وَالتَّارِيخَ ، وَالْأَيَّامَ ..
 عِنْدِي خُطَابٌ عَاجِلٌ إِلَيْكَ ..
 لَكِنِّي يَا سَيِّدِي .. لَا أَجِدُ الْكَلَامَ

الحزنُ مرسومٌ على الغيوم ، والأشجار ، والسَّائِرِ
 وأنتَ سافرتِ .. ولم تُسافرِ ..
 فأنتَ في رائحة الأرض ، وفي تَفَتْحِ الأزاهِرِ ..
 في هُوتِ كُلِّ موجَةٍ ، وصوتِ كُلِّ طائرٍ ..
 في كُتُبِ الأَطْفالِ ، في الحُرُوفِ ، في الدفاتِرِ
 في خُضْرَةِ العيولِ ، وارتعاشةِ الأساورِ ..
 في صدرِ كُلِّ مؤمنٍ ، وسيفِ كُلِّ نائِرٍ
 عندي خطابٌ عاجلٌ ..
 لكنني .. لكنني يا سيدي
 تَسْحُقُنِي مشاعِرِي ..

يا أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الْكَبِيرُ
 كَمْ حُزْنُنَا كَبِيرُ
 كَمْ جُرْحُنَا كَبِيرُ
 لَكِنَّا ..

نُقَسِّمُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ
 أَنْ نَحْبِسَ الدُّمُوعَ فِي الْأَحْدَاقِ
 وَنَخْنُقَ الْعَبْرَةَ ..

نُقَسِّمُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ
 أَنْ نَحْفَظَ الْمِيثَاقَ
 وَنَحْفَظَ الثَّوْرَةَ ..

وعندما يسألنا أولادنا
 مَنْ أَنْتُمْ؟
 في أيِّ عصرٍ عِشْتُمْ؟
 في عصرٍ أيِّ مُلْهِمٍ؟
 في عصرٍ أيِّ سَاحِرٍ؟
 نُجِيبُهُمْ: في عَصْرِ عَبْدِ النَّاصِرِ
 اللَّهُ .. ما أَرَوَعَهَا شَهَادَةً
 أَنْ يُوجَدَ الْإِنْسَانُ فِي زَمَانِ عَبْدِ النَّاصِرِ

١٩٧٠/١٠/٢٥

إليه في يوم ميلاده

ألقى في كانون الثاني (يناير)
١٩٧١ في ذكرى ميلاد القائد جمال
عبد الناصر .

زَمَانُكَ بُسْتَانٌ .. وَعَصْرُكَ أَخْضَرُ
وَذِكْرُكَ ، عَصْفُورٌ مِّنَ الْقَلْبِ يَنْقُرُ

مَلَأْنَا لَكَ الْأَقْدَاحَ ، يَا مَنْ بِحُبِّهِ
سَكِرْنَا ، كَمَا الصُّوفِيُّ بِاللَّهِ يَسْكُرُ

دَخَلْتَ عَلَى تَارِيخِنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ
فَرَائِحَةُ التَّارِيخِ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ

وَكُنْتُ ، فَكَانَتْ فِي الْحَقُولِ سَنَابِلُ
وَكَانَتْ عَصَافِيرُ .. وَكَانَ صَنَوْبَرُ

لَمَسْتُ أَمَانِينَا ، فَصَارَتْ جَدَاوِلًا
وَأَمْطَرَتْنَا حُبًّا ، وَلَا زِلْتَ تُمَطِّرُ

تَأَخَّرْتَ عَنْ وَعْدِ الْهَوَى يَا حَبِيبِنَا
وَمَا كُنْتَ عَنْ وَعْدِ الْهَوَى تَتَأَخَّرُ

سَهَدْنَا .. وَفَكَّرْنَا .. وَشَاخَتْ دُمُوعُنَا
وَشَابَتْ لِيَالِينَا ، وَمَا كُنْتَ تَحْضُرُ

تَعَاوَدَنِي ذِكْرَاكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ
وَيُورِقُ فِكْرِي حِينَ فَيْكَ أَفْكَرُ ..

وتأبى جراحي أن تَصُمَّ شفاهها
كأنَّ جراحَ الحبِّ لا تتخسَّرُ

أُحِبُّكَ . لا تفسيرَ عندي لَصَبَوَتِي
أُفسِّرُ ماذا ؟ والهوى لا يُفسَّرُ

تأخَّرتَ يا أغلى الرجال ، فليلنا
طويلٌ ، وأضواءُ القناديل تسهرُ

تأخَّرتَ .. فالساعاتُ تأكلُ نفسها
وأيامنا في بعضها تتعثَّرُ

أتسألُ عن أعمارنا ؟ أنتَ عُمْرُنا
وأنتَ لنا المَهْدِيُّ .. أنتَ المُحرَّرُ

وأنتَ أبو الثَّورَاتِ ، أنتَ وَقودُهَا
وأنتَ انبعاثُ الأرضِ ، أنتَ التَّغْيِيرُ

تضيقُ قبورُ الميِّتِينَ بمنْ بهَا
وفي كُلِّ يومٍ أَنْتَ في القبرِ تكبرُ

* * *

تأخَّرْتَ عَنَّا .. فالجِيَادُ حزينَةٌ
وسيفُكَ منْ أشواقِهِ . كَادَ يكفُرُ

حصانُكَ في سينَاءٍ يشربُ دمعَهُ
ويا لعذابِ الخيلِ . إذْ تتذكَّرُ

ورايَاتُكَ الخضراءُ تمضغُ دُرْبَهَا
وفوقَكَ آلافُ الأكاليلِ تُضْفَرُ

تَأَخَّرْتَ عَنَّا .. فَاَلْمَسِيحُ مُعَذَّبٌ
هَنَّاكَ ، وَجُرْحُ الْمَجْدَلِيَّةِ أَحْمَرُ ..

نِسَاءُ فِلَسْطِينَ تَكْحَلْنَ بِالْأَسَى
وَفِي بَيْتِ لَحْمٍ قَاصِرَاتٌ .. وَقُصْرُ

وَلَيْمُونُ يَافَا يَابِسٌ فِي حُقُولِهِ
وَهَلْ شَجَرٌ فِي قَبْضَةِ الظُّلَمِ يُزْهِرُ؟

* * *

رَفِيقَ صِلَاحِ الدِّينِ .. هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ
فَإِنَّ جِيوشَ الرُّومِ تَنْهَى وَتَأْمُرُ

رِفَاقَكَ فِي الْأَغْوَارِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ .
وَجُنْدُكَ فِي حِطَّيْنٍ ، صَلُّوا .. وَكَبَّرُوا ..

تُغْنِي بِكَ الدُّنْيَا .. كَأَنَّكَ طَارِقٌ
عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ ، يَرْسُو .. وَيُبْجِرُ

تَنَادِيكَ مِنْ شَوْقٍ مَآذِنُ مَكَّةِ
وَتَبْكِيكَ بَدْرٌ ، يَا حَبِيبِي ، وَخَيْبَرُ

وَيَبْكِيكَ صَفْصَافِ الشَّامِ وَوَرْدُهَا
وَيَبْكِيكَ زَهْرُ الْغُوطَتَيْنِ ، وَدُمَّرُ

* * *

تَعَالِ إِلَيْنَا .. فَالْمُرُوءَاتُ أَطْرَقَتْ
وَمَوْطِنُ آبَائِي زُجَاجٌ مُكْسَرٌ ..

هَزِمْنَا .. وَمَا زَلْنَا شِتَاتَ قِبَائِلٍ
تَعِيشُ عَلَى الْحَقْدِ الدِّفِينِ وَتَشَارُ

رفيقَ صلاحِ الدِّينِ .. هل لكَ عَوْدَةٌ
فإنَّ جيوشَ الرومِ تَنْهَى ، وتَأْمُرُ

يحاصِرُنَا كالموتِ أَلْفُ خَلِيفَةٍ
ففي الشرقِ هولاءُ كُو .. وفي الغربِ قَيْصَرُ

* * *

أبا خالدٍ أَشْكُو إِلَيْكَ مَوَاجِيعِي
ومثلي لَهُ عُدْرٌ .. ومثلكَ يَعْدُرُ

أنا شَجَرُ الأَحْزَانِ ، أَنزَفُ دَائِماً
وفي الثلجِ والأنواءِ .. أُعْطِي وَأُثْمِرُ

يُشِيرُ حَزِيرَانٌ جُنُونِي وَنَقَمَاتِي
فَأَغْتَالُ أَوْثَانِي .. وَأَبْكِي .. وَأَكْفُرُ

وأذبحُ أهلَ الكهفِ فوق فراشِهِمْ
جميعاً ، ومن بَوَّابةِ الموتِ أُعْبِرُ

وأتركُ خلفي ناقتي وعباءتي
وأمشي .. أنا في رَقَبَةِ الشمسِ خِنْجَرُ

وأَصْرَخُ : يا أرضِ الخرافاتِ .. إحبلي
لعلَّ مسيحاً ثانياً .. سوفَ يَظْهَرُ ..

إفادَةٌ في محْكَمَةِ الشَّعْرِ

أَلْقَيْتُ فِي مَهْرَجَانِ الشَّعْرِ التَّاسِعِ
بِبَغْدَادٍ فِي نَيْسَانَ (أَبْرِيلِ) عَامِ ١٩٦٩

مَرْحَبًا يَا عِرَاقُ .. جِئْتُ أُغْنِيكَ
وَبَعْضُ مَنْ الْغِنَاءُ بُكَاءُ

مَرْحَبًا .. مَرْحَبًا .. أُنَعْرِفُ وَجْهًا
حَفَرْتُهُ الْأَيَّامُ وَالْأَنْسَاءُ

أَكَلَ الْحُبُّ مِنْ حُشَاةِ قَلْبِي
وَالْبَقَايَا ، تَقَاسَمَتِهَا النِّسَاءُ

كُلُّ أَحْبَابِي الْقُدَامَى نَسَوْنِي
لَا نُوَارُ تُجِيبُ أَوْ عَفْرَاءُ

فَالشِّفَاهُ الْمُطَيَّاتُ رَمَادُ
وَحِيَامُ الْهَوَى رَمَاهَا الْهَوَاءُ

سَكَنَ الْحُزْنَ كَالْعَصَافِيرِ قَلْبِي
فَالْأَسَى خَمْرَةٌ ، وَقَلْبِي الْإِنَاءُ

أَنَا جُرْحٌ يَمْشِي عَلَى قَدَمِيهِ
وَحُيُولِي قَدْ هَدَّهَا الْإِعْيَاءُ

فَجِرَاحُ الْحُسَيْنِ ، بَعْضُ جِرَاحِي
وَبَصْدْرِي مِنَ الْأَسَى ، كَرَبْلَاءُ ...

وأنا الحُزْنُ من زمان صديقي
وقليلٌ في عصرنا الأصدقَاءُ

* * *

مَرْحَباً يا عِرَاقُ .. كيف العَبَاءَاتُ ،
وكيفَ الْمَهَا ، وكيفَ الظِّبَاءُ ؟

مَرْحَباً يا عِرَاقُ .. هل نَسِيتَنِي
بعد طول السنين سَامُـرَاءُ ؟

كيف أحبابنا على ضَفَّةِ النَهْرِ
وكيف البسَاطُ والنُّدَمَاءُ ؟

كان عندي هُنَا .. أَمِيرَةُ حُبٍّ
ثُمَّ ضَاعَتْ أَمِيرَتِي الْحَسَنَاءُ

أين وجهه في (الأعظمية) حلوا
لو رأته ، تغار منه السماء

إنني السندباد ، مزقه البحر
وعينا حيتي الميناء

مضغ الموج مركبي ، وجيني
ثقبته العواصف الهوجاء

إن في داخلي عصوراً من الحزن
فهل لي إلى العراق التجاء؟..

وأنا العاشق الكبير ... ولكن
ليس تكفي دفاتري الزرقاء

* * *

يا حُزَيْرَانُ .. ما الذي فَعَلَ الشَّعْرُ
ومماذا أُعْطِيَ لَنَا الشَّعْرَاءُ ؟

الدَّوَاوِينُ فِي يَدَيْنَا طُرُوحُ
والتَّعَايِيرُ كُلُّهَا إِنْشَاءُ

كُلَّ عَامٍ نَأْتِي لِسُوقِ عُكَاظٍ
وَعَلَيْنَا الْعِمَائِمُ الْخَضْرَاءُ

وَنَهْزُ الرُّؤُوسَ مِثْلَ الدَّرَاوِيشِ
وَبِالنَّارِ تَكْتَوِي سِينَاءُ ..

كُلَّ عَامٍ نَأْتِي .. فَهَذَا جَرِيرُ
يَتَغَنَّى ، وَهَذِهِ الْخَنَسَاءُ

لم نَزَلْ .. لم نَزَلْ نَمْصُصُ قِشْرًا
وفلسطين خَضَبَتْهَا الدماءُ

سَقَطَتْ فِي الْوَحُولِ كُلُّ الْفَصَاحَاتِ
وَمَاتَ الْخَلِيلُ وَالْفِرَاءُ ..

يَا حُزَيْرَانُ .. أَنْتَ أَكْبَرُ مِنَّا
وَأَبُّ أَنْتَ مَالَهُ أَبْنَاءُ

لَوْ مَلَكْنَا بَقِيَّةً مِنْ إِبَاءٍ
لَا نَتَخِينَا .. لَكُنَّا جُبْنَاءُ

* * *

يَا عُصُورَ الْمُعَلَّقَاتِ مَلَلْنَا
وَمِنْ الْجِسْمِ قَدْ يَمَلُّ الرِّدَاءُ

نُصِفُ أَشْعَارَنَا نُقُوشُ .. وماذا
يَنْفَعُ النِّقْشُ حِينَ يَهْوِي الْبِنَاءُ ؟

المَقَامَاتُ لُغْبَةٌ ... والحريريُّ
حشيشٌ .. والغُولُ .. والعَنْقَاءُ

ذَبَحْتَنَا الْفُسَيْفَسَاءُ عُصُوراً
وَالدُّمَى .. وَالزَّخَارِفُ الْبَلَهَاءُ

نَرْفُضُ الشَّعَرَ كِيَمَاءَ وَسِحْراً
قَتَلْتَنَا الْقَصِيدَةُ الْكِيَمَاءُ

نَرْفُضُ الشَّعَرَ مَسْرَحاً مَلَكِيّاً
مِنْ كِرَاسِيهِ ، يُحْرَمُ الْبُسْطَاءُ

نرفضُ الشِّعْرَ أن يكونَ حصاناً
يمتطيه الطُّغَاءُ والأقوياءُ

نرفضُ الشِّعْرَ عُتْمَةً ورُمُوزاً
كيف تَسْطِيعُ أن ترى الظُّلَمَاءَ ؟

نرفضُ الشِّعْرَ أَرْنباً خَشِيئاً
لا طموحُ لَهُ ولا أهـواءُ

نرفضُ العاطلينَ في قَهْوَةِ الشِّعْرِ ..
دُخَانُ أَيَّامِهِمْ ، وارتخاءُ

شِعْرُنَا اليومَ يحفرُ الشمسَ حَفْراً
يَدِيهِ .. فكلُّ شيءٍ مُضَاءُ

شِعْرُنَا الْيَوْمَ هَجْمَةٌ وَاكْشَافٌ
لَا خُطُوطٌ كَوْفِيَّةٌ .. وَحِدَاءٌ ..

كُلُّ شِعْرِ مُعَاصِرٍ .. لَيْسَ فِيهِ
غَضَبُ الْعَصْرِ ، نَمْلَةٌ عَرَجَاءُ

مَا هُوَ الشِّعْرُ ؟ إِنْ غَدَا بَهْلَوَانًا
يَتَسَلَّى بِرُقْصِهِ الْخُلَفَاءُ

مَا هُوَ الشِّعْرُ ؟ حِينَ يَصْبِحُ فَأَرًا
كِسْرَةَ الْخُبْزِ .. هُمٌّ .. وَالْغَدَاءُ

وَإِذَا أَصْبَحَ الْمُفَكِّرُ بُوقًا
يَسْتَوِي الْفِكْرُ عِنْدَهَا وَالْحِذَاءُ ...

يُصَلَّبُ الأنبياءُ من أجل رأيٍ
فلماذا لا يُصَلَّبُ الشعراءُ ؟

* * *

الفدائيُّ وحده .. يَكْتُبُ الشَّعْرَ
وكلُّ الذي كَتَبْنَا هُـرَاءَ ..

إنَّه الكاتبُ الحقيقيُّ للعصرِ
ونحنُ الحُجَّابُ والأجْرَاءُ

عندما تبدأُ البنادقُ بالعزْفِ
تموتُ القصائدُ العَصَمَاءُ ..

* * *

ما لَنَا .. ما لَنَا .. نلومُ حُزَيْرَانَ
وفي الإثمِ كُلُّنا شُرَكَاءُ

مَنْ هُمْ الْأُبْرِيَاءُ ؟؟ نحنُ جميعاً
حَامِلُو عَارِهِ .. ولا استثناءً

عَقَلْنَا .. فَكَّرْنَا .. هُزَّالُ أَغَانِينَا ..
رُؤَاوَانَا .. أَقْوَالُنَا الْجَوْفَاءُ

نَشْرُنَا .. شِعْرُنَا .. جَرَائِدُنَا الصَّفْرَاءُ ..
وَالْحَبِيرُ .. وَالْحُرُوفُ الْإِمَاءُ

الْبُطُولَاتُ مَوْقِفُ مَسْرَحِيُّ
وَوَجْهُهُ الْمُثَلِّينَ طِلَاءُ

وَفِلَسْطِينُ بَيْنَهُمْ كَمَزَادٍ
كُلُّ شَارٍ يَزِيدُ حِينَ يَشَاءُ

وَحَدَوِيُونِ !! وَالْبِلَادُ شَطَايَا
كُلُّ جَزْءٍ مِنْ لَحْمِهَا أَجْزَاءُ

مَارِكِسِيُونِ !! وَالْجُمَاهِيرُ تَشْقَى
فَلَمَّاذَا لَا يَشْبَعُ الْفُقَرَاءُ

قُرَشِيُونِ !! لَوْ رَأَتْهُمْ قُرَيْشُ
لَا سَتَجَارَتْ مِنْ رَمْلِهَا الْبَيْدَاءُ

لَا يَمِينُ يُجِيرُنَا أَوْ يَسَارُ
تَحْتَ حَدِّ السَّكِينِ نَحْنُ سَوَاءُ

لَوْ قَرَأْنَا التَّارِيخَ .. مَا ضَاعَتْ الْقُدْسُ
وَضَاعَتْ مِنْ قِبَلِهَا (الْحَمْرَاءُ) ...

* * *

يا فلسطين .. لا تزالين عطشى
وعلى النفطِ نامتِ الصَّخَرَاءُ

العباءاتُ كُلُّها من حَرِيرٍ ..
والليالي رخيصةٌ حمراءُ ..

يا فلسطين .. لا تُنادي عليهم
قد تساوى الأمواتُ والأحياءُ

قَتَلَ النفطُ ما بهم من سجايا
ولقد يَقتُلُ الثريُّ الثَّـرَاءُ

يا فلسطين .. لا تُنادي قُرَيْشاً
فقرِيشٌ ماتتْ بها الخُيَلَاءُ

لا تُنادي الرجالَ من عَبْدِ شَمْسٍ
لا تُنادي .. لم يَبْقَ إلا النِّسَاءُ ..

ذُرُوءُ الذُّلِّ أنْ تَمُوتَ المُرُوءَاتُ
وَيَمْشِي إلى السُّوراءِ السُّوراءُ ...

* * *

مرَّ عامان .. والغُزاةُ مُقِيمُونَ
وتاريخُ أُمِّي أَشْـلَاءُ

مرَّ عامان .. والمسيحُ أُسِيرُ
في يَدَيْهِمْ .. ومَرِيْمُ العِذراءِ ..

مرَّ عامان .. والمآذِنُ تَبْكِي
والنواقيسُ كُلُّهَا خَرَسَاءُ

أَيُّهَا الرَّاكِعُونَ فِي مَعْبَدِ الْحَرْفِ
كَفَانَا الدُّوَارُ وَالْإِغْمَاءُ

مَزَّقُوا جُبَّةَ الدَّرَاوِشِ عَنْكُمْ
وَاخْلَعُوا الصُّوفَ أَيُّهَا الْأَنْقِيَاءُ

أَتَرَكُوا أَوْلِيَاءَنَا .. بِسَلَامٍ
أَيُّ أَرْضٍ أَعَادَهَا الْأَوْلِيَاءُ ؟

* * *

فِي فَمِي ، يَا عِرَاقُ ، مَاءٌ كَثِيرٌ
كَيْفَ يَشْكُو مَنْ كَانَ فِي فِيهِ مَاءٌ ؟

زَعَمُوا أَنَّنِي طَعَنْتُ بِسِلَاحِي
وَأَنَا الْحَبُّ كُلُّهُ وَالْوَفَاءُ

أُريدون أن أُمصَّ نَزِيفي ؟
لا جدارُ أنا .. ولا بَبْغَاءُ

أنا حُرَيْتِي .. فإن سَرَقُوها
تسقطُ الأرضُ كُلُّها ، والسَّمَاءُ

ما احترفتُ النفاقَ يوماً .. وشِغْري
ما اشتراهُ المملوكُ والأُمراءُ

كلُّ حرفٍ كَتَبْتُهُ .. كان سيفاً
عَرِيّاً ، يشعُّ منه الضياءُ

وقليلٌ من الكلامِ نَقِيٌّ
وكثيرٌ من الكلامِ بَغَاءٌ ...

* * *

كم أعاني مما كَتَبْتُ عَذَاباً
ويعاني في شرقنا الشُّرَفَاءُ

وَجَعُ الحرف رائعٌ .. أَوْتَشْكُو
للبناتين ، وردة حمراء

كلُّ من قَاتَلُوا بحرفٍ شُجَاعٍ
ثمَّ ماتوا .. فَإِنَّهُمْ شُهَدَاءُ

لا تُعَاقِبْ ، يا ربِّ ، من رَجَمُونِي
واعفُ عَنْهُمْ ، لأنَّهم جُهَلَاءُ

إن حُبِّي للارض حبٌّ بصيرٌ
وهوَاهُمْ عواطفٌ عَمِيَاءُ

إِنْ أَكُنْ قَدْ كَوَيْتُ لَحْمَ بِلَادِي
فَمَنْ الْكَيِّ .. قَدْ يَجِيءُ الشِّفَاءُ

* * *

مِنْ بَحَارِ الْأَسَى ، وَلَيْلِ الْيَتَامَى
تَطْلُعُ الْآنَ ، زَهْرَةُ بَيْضَاءُ

مِنْ شُحُوبِ الْخَرِيفِ ، مِنْ وَجَعِ الْأَرْضِ
تَلُوحُ السَّنَابِلُ الْخَضِرَاءُ

وَيُطِلُّ الْفِدَاءُ شَمْساً عَلَيْنَا
مَا عَسَانَا نَكُونُ لَوْلَا الْفِدَاءُ

مِنْ جِرَاحِ الْمَنَاضِلِ وَلِدْنَا
وَمِنْ الْجُرْحِ تُوَلَّدُ الْكَبِيرَاءُ

قَبْلَهُمْ ؟ لم يَكُنْ هنالك قَبْلُ
إِبتداء التاريخ مِنْ يَوْمِ جِأُوا ...

بَطُوا فوق أَرْضِنَا أَنْبِيَاءَ
بعد أَنْ مات عِنْدَنَا الْأَنْبِيَاءُ

أَنْقَذُوا مَاءَ وَجْهِنَا يَوْمَ لَأْخُوا
فَأَضَاءَتْ وَجُوهُنَا السُّودَاءُ

مَنْحُونَا إِلَى الْحَيَاةِ جَسَازاً
لم تَكُنْ قَبْلَهُمْ لَنَا أَسْمَاءُ

* * *

أَصْدَقَاءُ الْحُرُوفِ .. لا تَعْذِلُونِي
إِنْ تَفَجَّرْتُ ، أَيُّهَا الْأَصْدَقَاءُ

إِنِّي أَخْزَنُ الرُّعُودَ بِصَدْرِي
مِثْلَمَا يَخْزَنُ الرُّعُودَ الشِّتَاءُ

أَنَا مَا جِئْتُ كَيِّ أَكُونَ خَطِيئاً
فِلَادِي أَضَاعَهَا الْخُطْبَاءُ

إِنِّي رَافِضٌ زَمَانِي ، وَعَضُّرِي
وَمِنَ الرِّفْضِ ، تُولَدُ الْأَشْيَاءُ

أَصْدِقَائِي : حَكَيْتُ مَا لَيْسَ يُحْكِي
وَشَفِيعِي طِفْلُولَتِي .. وَالنَّقَاءُ ..

إِنِّي قَادِمٌ إِلَيْكُمْ .. وَقَلْبِي
فَوْقَ كَفِّي حَمَامَةٌ بِيضَاءُ

إفهموني .. فما أنا غيرُ طفلٍ
فوق عَيْنَيْهِ يَسْتَحِمُّ الْمَسَاءُ

أنا لا أعرفُ ازدواجِيَّةَ الْفِكْرِ
فَنَفْسِي بُحَيْرَةٌ زَرْقَاءُ ..

لبلادي شِعْري .. ولستُ أبالي
رَفَضَتُهُ ، أم بَارَكْتُهُ السَّمَاءُ ..

مِنْ مُفَكَّرَةِ عَاشِقِ دِمَشْقِيٍّ

أَلْقَيْتَ فِي مَهْرَجَانِ الشَّعْرِ بِدِمَشْقِ
فِي كَانُونِ الْأَوَّلِ (دَيْسَمْبَرِ) ١٩٧١ .

فَرَشْتُ فوق ثَرَاكِ الطاهرِ الهدبَا
فيا دَمَشقُ ، لماذا نبدأ العَتَبَا ؟

حبيبتِي أنتِ .. فاستَلقي كَأُغْنِيَةٍ
على ذراعِي ، ولا تَسْتَوِضِحي السَّبَبَا

أنتِ النساءُ جميعاً .. ما مِنِ امرأةٍ
أُحِبَّتْ بَعْدَكَ ، إِلَّا خِلْتُهَا كَذِبَا

يا شام .. إِنَّ جِراحِي لا ضِفافَ لها
فَمَسَحِي عن جِبي الحُزْنَ والتَّعبَا

وأرْجِني إلى أسوار مدرستي
وأرْجِني الجِبرَ .. والطُّشورَ .. والكَتُبا

تلك الزواربُ كم كَثُرَ طَمَرْتُ بها
وكم تَرَكْتُ عليها ذكرياتِ صِبا

وكم رَسَمْتُ على حِيطانِها صُوراً
وكم كَسَرْتُ على أَدراجِها لُعبَا

أَتَيْتُ من رَجِمِ الأَحزانِ ، يا وَطَنِي
أَقْبَلُ الأرضَ ، والأبوابَ ، والشُّهبا

حُبِّي هُنَا .. وَحَيَاتِي وُلِدَنَ هُنَا
فَمَنْ يَعِيدُ لِي الْعُمْرَ الَّذِي ذَهَبَا

أَنَا قَبِيلَةُ عُشَّاقِ بَكَامِلِهِمَا
وَمَنْ دُمُوعِي سَقَيْتُ الْبَحْرَ وَالسُّحْبَا

فَكُلُّ صَفْصَافَةٍ حَوَّلَتْهَا امْرَأَةٌ
وَكُلُّ مِثْدَنَةٍ رَصَّعْتُهَا ذَهَبًا ..

هَذِي الْبَسَاتِينُ كَانَتْ بَيْنَ أُمْتَعَتِي
لَمَّا ارْتَحَلْتُ عَنِ الْفَيْحَاءِ ، مُغْتَرِبًا

فَلَا قَمِصَ مِنْ الْقَمِصَانِ الْبُسُةُ
إِلَّا وَجَدْتُ عَلَى خِيَطَانِهِ عِنَبًا

كم مُبْجِرٍ ، وَهُمُومُ الْبَرِّ تَسْكُنُهُ
وَهَارِبٍ مِنْ قَضَاءِ الْحُبِّ ، مَا هَرَبَا

* * *

يَا شَامُ .. أَيْنَ هُمَا عَيْنَا مُعَاوِيَةَ
وَأَيْنَ مِنْ زَحْمُوا بِالْمَنْكَبِ الشُّهْبَا

فَلَا خِيُولُ بَنِي حَمْدَانَ رَاقِصَةٌ
زَهْوًا ، وَلَا الْمُتَنَّبِيَّ مَالِيٌّ حَلَبَا

وَقَبْرُ خَالِدٍ فِي حِمَصٍ ، نَلَامِسُهُ
فِيرْجَفُ الْقَبْرِ مِنْ زُؤَارِهِ غَضَبَا

يَا رَبَّ حَيٍّ ، رِخَامُ الْقَبْرِ مَسْكُنُهُ
وَرُبَّ مَيِّتٍ عَلَى أَقْدَامِهِ انْتَصَبَا

يا ابنَ الوليدِ .. ألا سَيْفٌ تُوجِرُهُ
فكُلُّ أَسْيَافِنَا قد أَصْبَحَتْ خَشْبًا !!.

* * *

دمشقُ .. يا كَنَزَ أَحْلَامِي ، ومَرْوَحِي
أشكو العروبةَ ، أم أشكو لكِ العَرَبَا

أذمتُ سِياطَ حَزيرانَ ظُهُورَهُمْ
فأدْمَنْوْهَا ، وبأسُوا كُفًّا من ضَرْبَا

وطالَعُوا كُتُبَ التاريخِ .. واقتَنَعُوا
مَتى البِنادقُ كانت تَسْكُنُ الكُتُبَا ؟

سَقَوْا فلسطينَ أَحْلَامًا مِلُونَةً
وأطْعَمُوهَا سَخِيفَ القَوْلِ ، والخُطْبَا

عاشوا على هامش الأحداث ، ما انتفضوا
للأرض منهوبة ، والعرض مُغتصباً

وخلفوا القدس فوق الوحل ، عاريةً
تبيحُ عزّة نهديها لمن رغباً

هل من فلسطين مكتوبٌ يُطمِئني
عمن كتبتُ إليه ، وهو ما كتباً

وعن بساتين ليمون ، وعن حُلسمٍ
يزدادُ عني ابتعاداً كلما اقترباً

أيا فلسطين .. مَنْ يُهديك زنبقةً
ومَنْ يُعيدُ لك البيتَ الذي خرباً

تَلَفَّتِي .. تَجَدِّينَا فِي مَبَاذِلِنَا
مَنْ يَغْبُدُ الْجِنْسَ ، أَوْ مَنْ يَغْبُدُ الذَّهَبَا

فَوَاحِدٌ .. أَغْمَسَ النُّعْمَى بِصِيرَتِهِ
فَلِلْخَنَى .. وَالْغَوَايِ .. كُلُّ مَا وَهَبَا ..

وَوَاحِدٌ .. بِيحَارِ النُّفْطِ مُغْتَسِلٌ
قَدْ ضَاقَ بِالْخَيْشِ ثَوْبًا ، فَارْتَدَى الْقَصَبَا

وَوَاحِدٌ .. نَرْجِسِي فِي سِرِيرَتِهِ
وَوَاحِدٌ .. مِنْ دَمِ الْأَحْرَارِ قَدْ شَرَبَا

إِنْ كَانَ مِنْ ذَبَحُوا التَّارِيخَ .. هُمْ نَسَبِي
عَلَى الْعُصُورِ ، فَإِنِّي أَرْفُضُ النَّسَبَا ..

* * *

يا شامُ .. يا شامُ .. ما في جُعبتي طَربُ
أستَغْفِرُ الشَّعْرَ أن يَسْتَجِدِّي الطَّرَبَا

ماذا سأقرأ من شعري ومن أدبي
حوافرُ الخيل دَاسَتْ عندنا الأدبَا

وحَاصَرَتْنَا ، وآذَنَّا ، فلا قَلَمُ
قالَ الحَقِيقَةُ ، إلَّا اغتِيلَ أو صُلِبَا

* * *

يا مَنْ يُعَاتِبُ مَذْبُوحاً .. على دَمِهِ
ونزفَ شِرْيَانِهِ ، ما أسْهَلَ العَتَبَا

مَنْ جَرَّبَ الكِيَّ ، لا يَنْسَى مَواجِعَهُ
ومَنْ رَأَى السُّمَّ ، لا يَشْقَى كَمَنْ شَرَبَا

حَبْلُ الفَجِيعَةِ مُلْتَفٌّ عَلَى عُنُقِي
مَنْ ذَا يُعَاتِبُ مَشْنُوقًا إِذَا اضْطَرَبَا

الشَّعْرُ لَيْسَ حَمَامَاتٍ نَطِيرُهَا
نَحْوَ السَّمَاءِ ، وَلَا نَائَاً وَرِيحَ صَبَا

لَكِنَّهُ غَضَبٌ طَالَتْ أَظَافِرُهُ
مَا أَجْبَنَ الشَّعْرَ ، إِنْ لَمْ يَرْكَبِ الْغَضَبَا ..

ترصیعُ بالذهب
على سيفِ دمشق

أَتَرَاهَا تُحِبُّنِي مَيْسُونُ ؟
أَمْ تَوَهَّمْتِ .. والنساء ظُنُونُ

كَمْ رَسُولٍ أَرْسَلْتَهُ لِأَيِّهَا
ذَبَحْتَهُ تَحْتَ النِّقَابِ الْعُيُونُ

يَا ابْنَةَ الْعَمِّ ، والهوى أَمَّوِي
كَيْفَ أُخْفِي الهوى ، وكيف أُبَيِّنُ

كَمْ قُتِلْنَا فِي عَشَقِنَا .. وَبُعِثْنَا
بَعْدَ مَوْتٍ ، وَمَا عَلَيْنَا يَمِينُ

مَا وَقُوفِي عَلَى الدِّيارِ ، وَقَلْبِي
كَجَبِينِي ، قَدْ طَرَزَتْهُ الْغُصُونُ

لَا ظِبَاءُ الْحِمَى رَدَدْنَ سَلامِي
وَالْخَلاخِيلُ ، مَا لَهْنٌ رَيْنُ

يَا زَمَانًا فِي الصَّالِحَةِ سَمَحًا
أَيْنَ مِنِّي الْغَوَى ، وَأَيْنَ الْفُتُونُ

يَا سَرِيرِي .. وَيَا شَرَّاشِفَ أُمِّي
يَا عَصَافِيرُ .. يَا شَذَا .. يَا غُصُونُ

يا زواربَ حَارِّي .. خَبِّثْنِي
بين جَفْنَيْكَ ، فالزَمَانُ ضَنِينُ

واعذُرْنِي ، إذا بدوتُ حزيناً
إنَّ وجهَ المُحِبِّ ، وجهُ حزينُ

* * *

ها هي الشَّامُ ، بعد فرقة دهرٍ
أنهَرُ سبعةً .. وحُورُ عَيْنِ

النوافيرُ في البُيُوتِ كَلَامُ
والعناقيدُ سُكَّرُ مطحونُ

والسماءُ الزَّرْقَاءُ دَفترُ شِعْرِ
والحروفُ التي عليه .. سُنُونُ

هل دمشق - كما يقولون - كانت
حين في الليل ، فَكَّرَ الياسمين ؟

آه يا شام - كيف أشرح ما بي
وأنا فيك دائماً مَسْكُونُ

سامحيني ، إن لم أكاشِفُكِ بالعشق ،
فأحلى ما في الهوى التضمينُ

نخزُ أسرى معاً .. وفي قَفَصِ الحُبِّ
يُعاني السجَّانُ والمسجونُ

* * *

يا دمشق ، التي تَقَمَّصْتُ فيها
هل أنا السَّروُ ، أم أنا الشَّرْبِينُ ؟

أَمْ أَنَا الْفُلُّ فِي أَبَارِقُ أُمِّي
أَمْ أَنَا الْعُشْبُ ، وَالسَّحَابُ الْهَتُونُ ؟

أَمْ أَنَا الْقِطَّةُ الْأَثِيرَةُ فِي الدَّارِ
تُلَبِّي ، إِذَا دَعَاهَا الْحَنِينُ ؟

يَا دَمَشْقُ الَّتِي تَفَشَّى شَذَاهَا
تَحْتَ جِلْدِي ، كَأَنَّهُ الزَّيْزُفُونُ

سَامِحِينِي إِذَا اضْطَرَبْتُ .. فَإِنِّي
لَا مُقَفِّي حُبِّي .. وَلَا مَوْزُونُ

وَأَزْرَعِينِي تَحْتَ الضَّفَائِرِ مِشْطاً
فَأُرِيكَ الْغَرَامَ كَيْفَ يَكُونُ ..

* * *

قَادِمٌ مِنْ مَدَائِنِ الرِّيحِ وَحَدِي
فَاخْتَضِنِّي كَالطِّفْلِ يَا قَاسِيُونُ

إِخْتَضِنِّي .. وَلَا تُنَاقِشْ جُنُونِي
ذُرُوءُ الْعَقْلِ ، يَا حَبِيبِي ، الْجُنُونُ

إِخْتَضِنِّي خَمْسِينَ أَلْفًا وَأَلْفًا
فَمَعَ الضَّمُّ لَا يَجُوزُ السُّكُونُ ..

أَهْيَ مَجْنُونَةً بِشَوْقِي إِلَيْهَا
هَذِهِ الشَّامُ ، أَمْ أَنَا الْمَجْنُونُ

حَامِلٌ حُبَّهَا ثَلَاثِينَ قَرْنًا
فَوْقَ ظَهْرِي ، وَمَا هُنَاكَ مُعِينُ

كُلَّمَا جِئْتُهَا أَرَدْتُ دُيُونِي
لِلْجَمِيلَاتِ .. حَاصِرَتْنِي الدُّيُونُ

إِنْ تَخَلَّيْتُ كُلَّ الْمَقَادِيرِ عَنِّي
فَبِعَيْنَيَّ حَيِّبَتِي أَسْتَعِينُ

يَا إِلَهِي ، جَعَلْتَ عِشْقِي بَحْرًا
أَحْرَامٌ عَلَى الْبَحَارِ السُّكُونُ ؟

يَا إِلَهِي ، هَلِ الْكَتَابَةُ جُرْحٌ
لَيْسَ يُشْفَى ، أَمْ مَارِدٌ مَلْعُونٌ ؟

كَمْ أُعَانِي فِي الشَّعْرِ مَوْتًا جَمِيلًا
وَتُعَانِي مِنَ الرِّيحِ السَّفِينِ

* * *

جاءَ تَشْرِينُ .. يا حَيَّيَّةَ عُمْرِي
أَحْسَنُ الْوَقْتِ لِلْهُوَى تَشْرِينُ

ولنا موعدٌ على (جَبَلِ الشَّيْخِ)
كم الثَّلْجُ دافِيٌّ وَحَنُونُ

لم أَعَانِقْكَ مِنْ زَمَانٍ طَوِيلٍ
لم أُحَدِّثْكَ ، والحديثُ شُجُونُ

لم أَغَاذِلْكَ .. والتَغَزُّلُ بعضِي
للْهُوَى دِينُهُ ، وللسيفِ دِينُ

سَنَوَاتُ سَبْعٍ مِنَ الْحُزَنِ مَرَّتْ
مَاتَ فِيهَا الصَّفْصَافُ والزَيْتُونُ

سَنَوَاتُ فِيهَا اسْتَقَلْتُ مِنَ الْحُبِّ
وَجَفَّتْ عَلَى شَفَاهِي اللَّحُونُ

سَنَوَاتُ سَبْعُ .. بِهَا اغْتَالَنَا الْيَأْسُ
وَعِلِمُ الْكَلَامِ .. وَالْيَأْسُونُ ..

فَانْقَسَمْنَا قِبَائِلًا وَشُعُوبًا
وَاسْتُبِيحَ الْحِمَى ، وَضَاعَ الْعَرِينُ

كَيْفَ أَهْوَاكِ ، حِينَ حَوْلَ سَرِيرِي
يَتَمَشَّى الْيَهُودُ وَالطَّاعُونَ

كَيْفَ أَهْوَاكِ ؟ وَالْحِمَى مُسْتَبَاحُ
هَلْ مِنْ السَّهْلِ أَنْ يُحِبَّ السَّجِينُ ؟

لا تَقُولِي : نَسِيتَ . لم أنسَ شيئاً
كيف تنسى أهدأ بهنَّ الجفونُ ؟

غير أنَّ الهوى يصيرُ ذليلاً
كُلَّمَا ذلَّ للرجالِ جبينُ

* * *

شامُ .. يا شامُ .. يا أميرةَ حُبِّي
كيف ينسى غرامَهُ المَجْنُونُ ؟

أوقِدي النارَ .. فالحديثُ طويلُ
وطويلُ لمن نُحِبُّ الحنينُ

شمسُ غَرْنَاطَةٍ أَطَلَّتْ عَلَيْنَا
بعدَ يَاسٍ ، وزغرَدَتْ (مَيْسَلُونُ)

جاءَ تَشْرِينُ .. إِنَّ وَجْهَكَ أَحْلَى
بكثيرٍ .. ما سِرُّهُ تَشْرِيبُنْ ؟

كَيْفَ صارتْ سَنابِلُ القمحِ أَعْلَى ؟
كَيْفَ صارتْ عَيْنَاكَ يَتَّ السُّنُونُ ؟

إِنَّ أَرْضَ الجولانِ تُشْبِهُ عَيْنِكَ
فماءٌ يجري ، ولوزٌ ، وتينٌ ..

كُلُّ جُرْحٍ فيها حَديقَةٌ وُردٍ
وربيعٌ .. وَلَوْلُو مَكْنُونُ

يا دَمَشَقُ البِسيِّ دُمُوعِي سِوَاراً
وَتَمَنِّي ، فَكُلُّ صَعْبٍ يَهُونُ

وَضَعِي طَرْحَةَ الْعُرُوسِ .. لِأَجْلِي
إِنَّ مَهْرَ الْمُنَاضِلَاتِ ثَمِينٌ

رَضِيَ اللَّهُ وَالرَّسُولُ عَنِ الشَّامِ
فَنَصْرُ آتٍ .. وَفَتْحُ مُبِينٌ ..

* * *

مَزَّقِي يَا دَمَشْقُ خَارِطَةَ الذِّلِّ
وَقُولِي لِلدَّهْرِ : كُنْ .. فَيَكُونُ

إِسْتَرَدَّتْ أَيَّامَهَا بِكَ بِدْرُ
وَاسْتَعَادَتْ شَبَابَهَا حِطَّيْنُ

بِكَ عَزَّتْ قَرِيشُ بَعْدَ هَوَانٍ
وَتَلَاقَتْ قِبَائِلُ وَبُطُونٌ ..

إِنَّ عَمْرَوُ بْنُ الْعَاصِ يَزْحَفُ لِلشَّرْقِ
وَلِلْغَرْبِ يَزْحَفُ الْمَأْمُونُ

كَتَبَ اللَّهُ أَنْ تَكُونِي دِمَشْقاً
بِكَ يَبْدَأُ وَيَنْتَهِي التَّكْوِينُ

لَا خِيَارُ أَنْ يُصْبِحَ الْبَحْرُ بَحْراً
أَوْ يَخْتَارُ صَوْتَهُ الْحَسُونُ ؟

ذَاكَ عُمَرُ السُّيُوفِ .. لَا سِيفَ إِلَّا
دَائِنُ يَا حَبِيبِي أَوْ مَدِينُ

هُزِمَ الرُّومُ بَعْدَ سَبْعِ عِجَافٍ
وَتَعَاثَى وَجَدَانُنَا الْمُطْعُونُ

وَقَتَلْنَا الْعَنْقَاءَ فِي (جَبَلِ الشَّيْخِ)
وَأَلْقَى أَضْرَاسَهُ التَّنَّيْنُ

صَدَقَ السِّيفُ وَعْدَهُ يَا بِلَادِي
فَالسِّيَاسَاتُ كُلُّهَا أَفْيُونُ

صَدَقَ السِّيفُ حَاكِمًا وَحَكِيمًا
وَحُدَّهُ السِّيفُ ، يَا دَمَشْقُ ، الْيَقِينُ

* * *

إِسْحَاجِي الذَّيْلَ ، يَا قَنِيطْرَةَ الْمَجْدِ
وَكَحْلُ جَفْنِيكَ يَا حَرْمُونُ

سَبَقَتْ ظِلَّهَا خِيُولُ هَشَامٍ
وَأَفَاقَتْ مِنْ نَوْمِهَا السِّكَّانُ

عَلَّمِينَا فِقْهَ الْعُرُوبَةِ يَا شَامُ
فَأَنْتِ الْبَيَّانُ وَالتَّبَيُّينُ

عَلَّمِينَا الْأَفْعَالَ .. قَدْ ذَبَحْتُنَا
أَحْرَفُ الْجَرِّ .. وَالْكَلَامُ الْعَجِينُ

عَلَّمِينَا قِرَاءَةَ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ
فَنَصَّفُ اللُّغَاتِ وَحُلُّ وَطِينُ

عَلَّمِينَا التَّفْكِيرَ .. لَا نَضُرَّ يُرْجَى
حِينَمَا الشَّعْبُ كُلُّهُ سَرْدِينُ

إِنَّ أَقْصَى مَا يُغْضِبُ اللَّهَ
فِكْرُ دَجْنُوهُ .. وَكَاتِبُ عَيْنِ

وَطَنِي .. يَا قَصِيدَةَ النَّارِ وَالسَّوْدِ
تَغَنَّتْ بِمَا صَنَعْتَ الْقُرُونُ

إِنَّ نَهْرَ التَّارِيخِ يَنْبُعُ فِي الشَّامِ
أُبْلَغِي التَّارِيخَ طَرَحُ هَجَّيْنِ

نَحْنُ عَكَّا .. وَنَحْنُ كَرْمِلُ حِيفَا ..
وَجِبَالُ الْجَلِيلِ .. وَاللَّطْسُرُونُ

كُلُّ لَيْمُونَةٍ سَتَنْجَبُ طِفْلاً
وَمُحَالٌ أَنْ يَنْتَهِيَ اللَّيْمُونُ ..

* * *

شَامُ .. يَا شَامُ .. غَيْرِي قَدَرِ الشَّمْسِ ..
وَقُولِي لِلدَّهْرِ : كُنْ .. فَيَكُونُ ..

ملاحظات
في زمن الحب والحرب

أَلَا حَظَّتْ شَيْئاً ؟
 أَلَا حَظَّتْ أَنْ الْعَلَاقَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فِي زَمَنِ الْحَرْبِ
 تَأْخُذُ شَكْلاً جَدِيداً ..
 وَتَدْخُلُ طَوْرًا جَدِيداً ..
 وَأَنْتَ أَصْبَحْتَ أَجْمَلَ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مَضَى ..
 وَأَنْيَ أَجْبَلَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مَضَى ..
 أَلَا حَظَّتْ كَيْفَ اخْتَرَقْنَا جِدَارَ الزَّمَنِ ؟
 وَصَارَتْ مَسَاحَةٌ عَيْنِيكَ ..
 مِثْلَ مَسَاحَةِ هَذَا الْوَطَنِ ..

أَلَا حَظَّتْ هَذَا التَّحَوُّلَ فِي لَوْنِ عَيْنَيْكَ ؟
 حِينَ اسْتَمَعْنَا مَعاً لِبَيَانِ الْعُبُورِ ..
 أَلَا حَظَّتْ .. كَيْفَ احْتَضَنْتُكَ مِثْلَ الْمَجَانِينِ ..
 كَيْفَ عَصَرْتُكَ مِثْلَ الْمَجَانِينِ ..
 كَيْفَ رَفَعْتُكَ .. ثُمَّ رَمَيْتُكَ ..
 ثُمَّ رَفَعْتُكَ .. ثُمَّ رَمَيْتُكَ ..
 فَالْيَوْمَ عُرْسٌ .. وَتِشْرِينَ سَيِّدُ كُلِّ الشُّهُورِ
 أَلَا حَظَّتْ .. كَيْفَ تَجَاوَزْتُ كُلَّ ضِغْفَافِي ؟
 وَكَيْفَ غَمَرْتُكَ مِثْلَ مِيَاهِ النُّهُورِ

أَلَا حَظَّتْ .. كَيْفَ انْدَفَعْتُ إِلَيْكَ ..

كَأَنِّي أُرَاكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ

أَلَا حَظَّتْ كَيْفَ انْسَجَمْنَا ..

وَكَيْفَ لَهَثْنَا ..

وَكَيْفَ عَرَقْنَا ..

وَكَيْفَ اسْتَحْلَنَّا رَمَاداً ..

وَكَيْفَ بُعِثْنَا ..

كَأَنَّا نُمَارِسُ فِعْلَ الْغَرَامِ

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ...

أَلَا حَظَّتِ ..
 كَيْفَ تَحَرَّرْتُ مِنْ عُقْدَةِ الذَّنْبِ
 كَيْفَ أَعَادْتُ لِي الْحَرْبُ كُلَّ مَلَامِحِي وَجْهِي الْقَدِيمَةَ
 أُحِبُّكَ فِي زَمَنِ النَّصْرِ ..
 إِنَّ الْهَوَى لَا يَعْيشُ طَوِيلًا
 بِظِلِّ الْهَزِيمَةِ ..

هل الحربُ تُنْقِذُنَا بعد طول الضياع؟
 وتُضَرِّمُ أشواقنا الغافية
 فتجعلني بدويّ. الطِّبَاعُ
 وتجعلك امرأةً ثانية ..

أَلَا حَظَّتْ كَيْفَ اكْتَشَفْنَا طِفْلَتَنَا

بعد ستِّ سِنِينَ؟

وَكَيْفَ رَجَعْنَا أَخِيرًا لِمَمْلَكَةِ الْعِشْقِ وَالْعَاشِقِينَ

أَأَحْسَسْتَ مِثْلِي .. بَأَنَّ رِجَالَ الْمِظَلَّاتِ كَانُوا

يَحْطُونُ مِثْلَ الْحَمَامِ عَلَى رَاحَتَيْنَا

وَأَنَّ جُنُودَ الْمِغَاوِيرِ كَانُوا يَمْرُونَ فَوْقَ عُرُوقِ يَدَيْنَا ..

أَلَا حَظَّتْ كَيْفَ نَثَرْنَا عَلَيْهِمُ

عُقُودَ الْبَنْفَسَجِ وَالْيَاسَمِينِ؟

وكيف ركضنا إليهم
وكيف أنحنينا ..
أمامَ بنادقهم خاشعين
الآحَظْتَ كيفَ ضحكنا ؟
وكيفَ بكينا ؟
وكيفَ عَبَرْنَا الجسورَ مع العابرين ..

تَرَكْتُ عُصُورَ انْحِطَاطِي وَرَائِي ..
 تَرَكْتُ عُصُورَ الْجَفَافِ
 وَجِئْتُ عَلَى فَرَسِ الرِّيحِ وَالْكَبْرِيَاءِ
 لَكِي أَشْتَرِي لَكَ ثَوْبَ الزَّفَافِ ..

تصيرينَ في زَمَنِ الحربِ
 مصقولةً كالمرايا ..
 ومَسْحُوبَةً كالزُّرافَةَ
 وبين يَدَيْنَا تذوبُ الحدودُ
 وتُلغى المسافَةُ

قرأتُ خرائطَ جسمِكِ في كُتُبِي المدرسيَّةِ
 ولا زلتُ أحفظُ أسماءَ كُلِّ النُّهْورِ
 وأشكالَ كُلِّ الصُّخُورِ
 وعاداتِ كُلِّ البَوَادِي
 ولا زلتُ أحفظُ أعمارَ كُلِّ الجِيَادِ
 فكيفُ أُفرِّقُ ..

بين حرارة جسمِكِ أنتِ ..
 وبين حرارة أرضِ بلادي ؟؟

وَجَدْنَا أَخِيرًا .. حُدُودَ فَمَيْنَا
 عَشَرْنَا عَلَى لُغَةٍ لِلْحَوَارِ
 وَكَانَ حَزِيرَانُ يُجْلِسُ فَوْقَ يَدَيْنَا
 وَيَحْبِسُنَا فِي كَهْفِ الْغُبَارِ
 وَكُنْتُ أُحِبُّكَ ..
 لَكِنَّ لَيْلَ الْهَزِيمَةِ صَادَرَ مِنِّي النَّهَارُ
 وَكُنْتُ أُرِيدُ الْوَصُولَ إِلَيْكَ ..
 وَلَكِنَّهُمْ أَنْزَلُونِي قُبَيْلَ رَحِيلِ الْقَطَارِ

وَكُنْتُ أَفْكُرُ فِيكَ كَثِيرًا
وَأَحْلُمُ فِيكَ كَثِيرًا ..
وَكُنْتُ أَهْرَبُ شِعْرِي إِلَيْكَ
بِرَغْمِ الْحِصَارِ
وَلَكِنَّهُمْ أَعْدَمُونِي مَرَارًا
وَأَرْخُوا عَلَيَّ السِّتَارَ
وَلَكِنْ بِرَغْمِ تَعَدُّ مَوْتِي
بَقِيَ أَحِبُّكَ .. يَا زَهْرَةَ الْجُلَنَارِ

أُحِبُّكَ أَنْتِ ..
 وَأَكْتُبُ حُبِّي عَلَى وَجْهِ كُلِّ غَمَامَةٍ
 وَأُعْطِي مَكَاتِبَ عِشْقِي
 لِكُلِّ يَمَامَةٍ
 أُحِبُّكَ فِي زَمَنِ الْعُنْفِ ..
 مَنْ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ السَّلَامَةَ
 أُحِبُّكَ .. يَا امْرَأَةً مِنْ بِلَادِي
 وَأَنْوِي ، عَلَى شَفَتَيْكَ ، الْإِقَامَةَ

أَلَا حَظَّتِ .. كم تُشْبِهِينَ دَمَشَقَ الْجَمِيلَةِ ؟
 وكم تُشْبِهِينَ الْمَآذِنَ .. وَالْجَامِعَ الْأَمْوِيَّ .. وَرَقْصَ السَّمَاحِ ..
 وَخَاتَمَ أُمِّي ..
 وَسَاحَةَ مَدْرَسَتِي ..
 وَجُنُونَ الطُّفُولَةِ ..
 أَلَا حَظَّتِ كم كُنْتُ أَتْنِي ؟
 وكم كُنْتُ مِمْتَلِنًا بِالرُّجُولَةِ ..

أَلَا حَظَّتْ ..

كَيْفَ تَأَلَّقَ وَجْهُكَ تَحْتَ الْحَرَائِقِ ؟

وَكَيْفَ دَبَابِيسُ شَعْرِكَ صَارَتْ بِنَادِقٍ ؟

أَلَا حَظَّتْ كَيْفَ تَغَيَّرَ تَارِيخُ عَيْنِكَ فِي لَحَظَاتٍ قَلِيلَةٍ ؟

فَأَصْبَحْتَ سَيْفًا بِشَكْلِ امْرَأَةٍ ..

وَأَصْبَحْتَ شَعْبًا بِشَكْلِ امْرَأَةٍ ..

وَأَصْبَحْتَ كُلَّ التُّرَاثِ ، وَكُلَّ الْقَبِيلَةِ ..

أَلَا حَظَّتْ ؟

كم كنتِ رائعةَ الحُسْنِ ، ذاكَ المساءَ
وكيف جلستِ أمامي كعاصمة الكبرياء ..

وكيف تَغَيَّرَ إيقاعُ صوتِكَ ..
حتى تصوَّرتُ صوتَكَ يُنبِئُ ماءَ
وزَهْرَةَ دِفْلَى
على شَعَرِ المَجْدَلِيَّةِ ..

أَلَا حَظَّتْ أَنَّكَ صِرْتَ دِمَشْقَ ..
بِكُلِّ بِيَارِقِهَا الْأُمَوِيَّةَ
وَمِصْرَ .. بِكُلِّ مَسَاجِدِهَا الْفَاطِمِيَّةَ
وَصِرْتَ حِصُونًا .. وَأَكْيَاسَ رَمْلٍ ..
وَرَتَلًا طَوِيلًا مِنْ الشُّهَدَاءِ
أَلَا حَظَّتْ ..
أَنَّكَ صِرْتَ خِلَاصَةَ كُلِّ نِسَاءٍ
وَصِرْتَ الْكِتَابَةَ وَالْأَبْجَدِيَّةَ ...

أُحِبُّكَ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْعَوَاصِفِ ،
لَا تَحْتَ ضَوْءِ الشُّمُوعِ ، وَلَا تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ
وَأَعْلَنُ لِلنَّاسِ أَنِّي أُعَارِضُ ضَوْءَ الْقَمَرِ
وَأَكْرَهُ ضَوْءَ الْقَمَرِ ..
أُحِبُّكَ حِينَ تَكُونُ الشُّوَارِعُ مَغْسُولَةً بِدُمُوعِ الْمَطَرِ ..
وَحِينَ تَصِيرُ بِلَوْنِ النُّحَاسِ ثِيَابُ الشَّجَرِ
أُحِبُّكَ مَزْرُوعَةً فِي عَيُونِ الصِّغَارِ
وَمَسْكُونَةً بِهَمْرَمِ الْبَشَرِ ..

ومولودةً من مياه البحار
وطالعةً من ضمير الحجر

أحبك ..

حين يسافرُ شعركُ في الريح دونَ جواز سفرٍ
وحين يُغمغمُ نهدكُ كالذئبِ .. في لحظات الخطرِ
فهل تعرفينَ عشيقاً ..
أحبك يوماً بهذا القدرِ ؟

أُحِبُّكِ أَيَّتُهَا الْعَالِيَةُ
 أُحِبُّكِ أَيَّتُهَا الْعَالِيَةُ ..
 أُحِبُّكِ مَرْفُوعَةَ الرَّأْسِ مِثْلَ قَبَابِ دِمَشْقَ ،
 وَمِثْلَ مَاذَنَ مِصْرَ ..
 فَهَلْ تَسْمَحِينَ بِتَقْيِيلِ جَبْهَتِكَ الْعَالِيَةَ
 وَهَلْ تَسْمَحِينَ بِنَسْيَانِ وَجْهِ الْقَدِيمِ ؟
 وَشِعْرِي الْقَدِيمِ ؟
 وَنَسْيَانِ أَخْطَائِي الْمَاضِيَةَ ..

وهل تسمحين بتغيير ثوبك ؟
إنَّ حزيناً ماتَ ..
وإنِّي بشوقٍ لرؤية أثوابك الزاهية
أحبُّك أكثرَ ممَّا ببالك ..
أكثرَ ممَّا ببال البحارِ ، وبال المراكبِ
أحبُّك تحت الغبارِ ..
وتحت الدمارِ ..
وتحت الخرائبِ ..

أُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مَضَى ..
لَأَنَّكَ أَصْبَحْتَ حَيِّ الْمُحَارِبِ ..

تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣

حوار شوری
مع طه حسین

ضوء عَيْنِكَ .. أَمْ هُمَا نَجْمَتَانِ ؟
كُلُّهُنَّ لَا يَرَى .. وَأَنْتَ تَرَاني

لَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ بَوْحِي
شَجَرُ الدَّمْعِ شَاخَ فِي أَجْفَانِي

كُتِبَ الْعِشْقُ ، يَا حَبِيبِي ، عَلَيْنَا
فَهُوَ أَبْكَاكَ مِثْلَمَا أَبْكَانِي

عُمْرُ جُرْحِي .. مليون عامٍ وعامٍ
هل تَرَى الجرحَ من خلال الدخانِ ؟

نَقَشَ الحُبُّ في دفاتر قلبي
كلَّ أسمائه .. وما سَمَّاني

قالَ : لا بُدَّ أن تموتَ شهيداً
مثلَ كلِّ العشَّاقِ ، قلتُ عساني

وطويتُ الدُّجى أسائِلُ نفسي
أَبْسَيْفٍ .. أم وردةٍ قد رماني ؟

كيف يأتي الهوى .. ومن أين يأتي ؟
يعرفُ الحبُّ دائماً عُنْواني ..

* * *

صَدَقَ الموعدُ الجميلُ .. أخيراً
يا حبيبي ، ويا حبيبَ البَيَانِ

ما علينا إذا جلسنا بُرُكْمِنِ
وَفَتَحْنَا حَقَائِبَ الْأَحْزَانِ

وَقَرَأْنَا أبا العَلَاءِ قَلِيلاً
وَقَرَأْنَا (رسالةَ الْغُفْرَانِ)

أنا في حَضْرَةِ الْعُصُورِ جميعاً
فزمانُ الأديبِ .. كلُّ الزمانِ ..

* * *

ضوءُ عَيْنِكَ .. أم حِوَارُ المَرايا
أم هما طائرَانِ يحترقانِ ؟

هل عُيُونُ الأديبِ نَهْرٌ لهيبٌ
أم عُيُونُ الأديبِ نَهْرٌ أغاني ؟

آه يا سيّدي الذي جعلَ الليلَ
نهاراً .. والأرضَ كالمهرجانِ ..

إرْمِ نَظَّارَتَيْكَ كي أتملّئ
كيف تبكي شواطئُ المَرْجَانِ ..

إرْمِ نَظَّارَتَيْكَ .. ما أنتَ أعمى
إنّما نحنُ جَوْقَةُ العُمَيَّانِ ..

* * *

أيُّها الفارسُ الذي اقتحمَ الشمسَ
وألقى رِدَاءَهُ الأَرْجُوَانِي

فعلى الفجر موجةً من صهيلٍ
وعلى النجم حافرٌ لحصانٍ ..

أزهرَ البرقُ في أناملِك الخمسِ
وطارت للغرب عصفورتانِ

إنَّكَ النهرُ .. كم سقانا كؤوساً
وكسانا بالورد والأقحوانِ

لم يزلْ ما كتبتَه يُسكرُ الكونَ
ويجري كالشهد تحت لساني

في كتاب (الأيام) نوعٌ من الرِّسمِ
وفيه التفكيرُ بالألوانِ ..

إِنَّ تِلْكَ الْأَوْراقَ حَقْلٌ مِنْ القَمْحِ
فَمِنْ أَيْنَ تَبْدَأُ الشَّفَتَانِ ؟

وَحَدَّكَ الْمُبْصِرُ الَّذِي كَشَفَ النَّفْسَ
وَأَسْرَى فِي عُتْمَةِ الْوَجْدَانِ

ليس صعباً لِقَاءَنَا بِآلِهِ ..
بل لقاء الإنسان .. بالإنسان ..

* * *

أَيْهَا الْأَزْهَرِيُّ .. يَا سَارِقَ النَّارِ
وَيَا كَاسِراً حَدُودَ الثُّلُوثَانِي

عُدْ إِلَيْنَا .. فَإِنَّ عَصْرَكَ عَصْرٌ
ذَهَبِيٌّ .. وَنَحْنُ عَصْرٌ ثَانِي

سَقَطَ الْفَكْرُ فِي النِّفَاقِ السِّيَاسِيِّ
وَصَارَ الْأَدِيبُ كَالْبَهْلَوَانِ

يَتَعَاطَى التَّبْخِيرَ .. يَحْتَرِفُ الرَّقْصَ ..
وَيَدْعُو بِالنَّصْرِ لِلسُّلْطَانِ ..

عُدْ إِلَيْنَا .. فَإِنَّ مَا يُكْتَبُ الْيَوْمَ
صَغِيرُ الرَّؤْيَى .. صَغِيرُ الْمَعَانِي

ذُبِحَ الشَّعْرُ .. وَالْقَصِيدَةُ صَارَتْ
قِنَةً تُشْتَرَى كَكُلِّ الْقِيَانِ

جَرَدُوهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .. وَأَدَمَوْا
قَدَمَيْهَا .. بِاللِّسْفِ وَالسِّدَّوَرَانِ

لَا تَسَلْ عَنْ رَوَائِعِ الْمُتَنَبِّي
وَالشَّرِيفِ الرُّضِيِّ ، أَوْ حَسَّانٍ ..

مَا هُوَ الشَّعْرُ ؟ لَنْ تُلَاقِي مُجِيباً
هُوَ بَيْنَ الْجُنُونِ وَالْهَذْيَانِ

* * *

عُدْ إِلَيْنَا ، يَا سَيِّدِي ، عُدْ إِلَيْنَا
وَأَنْتَشِلْنَا مِنْ قَبْضَةِ الطُّوفَانِ

أَنْتَ أَرْضَعْتَنَا حَلِيبَ التَّحَدِّي
فَطَحَنَّا النُّجُومَ بِالْأَسْنَانِ ..

وَأَقْتَلَعْنَا جُلُودَنَا بِيَدَيْنَا
وَفَكَّكْنَا حِجَارَةَ الْأَكْوَانِ

ورَفَضْنَا كُلَّ السَّلاطِينِ فِي الْأَرْضِ
رَفَضْنَا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ

أَيُّهَا الْغَاضِبُ الْكَبِيرُ .. تَأَمَّلْ
كَيْفَ صَارَ الْكُتَّابُ كَالْخِرْفَانِ

قَنِعُوا بِالْحَيَاةِ شَمْساً .. وَمَرَعَى
وَاطْمَأَنَّنُوا لِلْمَاءِ وَالْغُدْرَانِ

إِنَّ أَقْسَى الْأَشْيَاءِ لِلنَّفْسِ ظُلْماً ..
قَلَمٌ فِي يَدِ الْجَبَانِ الْجَبَانِ ...

* * *

يا أمِيرَ الحُرُوفِ .. ها هيَ مصرُ
وردةٌ تَسْتَحِمُّ في شَرِيـمـاني

إِنِّي في حِمَى الحُسَيْنِ ، وفي الليلِ
بقايا من سُورَةِ الرَحْمَنِ ..

تَسْتَبِدُّ الأَحْزَانُ بي .. فَأُنَادِي
آه يا مِصْرُ من بـنـي قحطانِ ..

تاجِرُوا فيكَ .. ساوِمْوكِ .. اسْتَبَاحُوكِ ..
وباعوكم كاذباتِ الأمانِي

حَبَسُوا المَاءَ عن شِفَاهِ اليتامَى
وأراقوه في شِفَاهِ الغواني

تركوا السيفَ والحصانَ حزينين
وباعوا التاريخَ للشيطانِ

يشترُونَ القصورَ ... هل ثَمَّ شاربٍ
لقبور الأبطال في الجولانِ ؟

يشترُونَ النساءَ .. هل ثَمَّ شاربٍ
لدموع الأطفال في بيسانِ ؟

يشترُونَ الزوجاتِ باللحم والعظم
أيشري الجمالُ بالميزانِ ؟

يشترُونَ الدنيا ... وأهلُ بلادِي
ينكشُونَ الترابَ كالديدانِ ...

* * *

آه يا مصر .. كم تعانين منهم
والكبير الكبير .. دوماً يُعاني ..

*

لِمَنِ الأحمرُ المُرَّاقُ بسيناء
يُحاكي شقائق النُعمانِ ؟

أَكَلَتْ مِصْرُ كِبْدَها .. وسواها
رافلٌ بالحرير والطَيْلسانِ ..

يا هَوَّانَ الهوان .. هل أصبح النفطُ
لدينا .. أغلى من الإنسانِ ؟

أيُّها الغارقون في نِعَمِ الله ..
ونُعْمَى المُرَبِّراتِ الحِسانِ ..

قد رَدَدْنَا جَاحِلَ السُّرُومِ عَنْكُمْ
وَرَدَدْنَا .. كِشْرَى أَنْوِشِرُوَانِ

وَحَمَيْنَا مُحَمَّدًا ... وَعَلِيًّا
وَحَفَظْنَا كَرَامَةَ الْقُرْآنِ ..

فَادْفَعُوا جِزْيَةَ السُّيُوفِ عَلَيْكُمْ
لَا تَعِشْ السُّيُوفُ بِالْإِحْسَانِ ..

*

سَامِحِينِي يَا مِضْرُ .. إِنْ جَمَعَ الشُّعْرُ
فَطَعْمُ الْحَرِيقِ تَحْتَ لِسَانِي

سَامِحِينِي .. فَأَنْتِ أُمُّ الْمُرُوءَاتِ
وَأُمُّ السَّمَاحِ وَالْغُفْرَانِ ..

سامحيني .. إذا احترقتُ وأُحرقتُ
فليس الحيادُ في إمكاني

مِصْرُ .. يا مِصْرُ .. إِنَّ عَشْقِي خَطِيرُ
فاغفري لي إذا أضعتُ اتّزاني ...

مرسومُ بإقالة
خالد بن الوليد

سَرَقُوا مِنَّا الزمانَ العربيُّ
سَرَقُوا فاطمةَ الزهراءَ من بيتِ النبيِّ
يا صلاحَ الدينِ ،
باعوا النسخةَ الأولى من القرآنِ ،
باعوا الحزنَ في عينيَّ عليٍّ ..
كشفوا في أُحُدٍ ظهرَ رسولِ الله ..
باعوا الأنهرَ السبعةَ في الشامِ ،
وباعوا الياسمينَ الأمويُّ ..
يا صلاحَ الدينِ ،
باعوكَ ، وباعونا جميعاً ..
في المزادِ العلنيِّ ..

سَرَقُوا مِنَّا الطُمُوحَ الْعَرَبِيَّ^٣
عَزَلُوا خَالِدَ فِي أَعْقَابِ فَتَحِ الشَّامِ ،
سَمَّوْهُ سَفِيرًا فِي جَنيفٍ ،
يَلْبَسُ الْقُبَّعَةَ السُّودَاءَ ..
يَسْتَمْتَعُ بِالسَّيْجَارِ .. وَالْكَافِيَارِ ..
يُرْغِي بِالْفَرَنْسِيَّةِ ..
يَمْشِي بَيْنَ شَقَرَاوَاتِ أُوْرُوبَا ..
كَدِيكَ وَرَقِي^٣ ..
أَتَرَاهُمْ دَجَّنُوا هَذَا الْأَمِيرَ الْقُرْشِيَّ^٣
هَكَذَا تُخْصِي الْبَطُولَاتُ لَدِينَا يَا بُنَيَّ ..

سَرَقُوا مِنْ طَارِقٍ مَعْطَفَهُ الْأَنْدَلُسِيُّ
أَخَذُوا مِنْهُ النِّيشَانِ ، أَقَالُوهُ مِنَ الْجَيْشِ ،
أَحَالُوهُ إِلَى مُحْكَمَةِ الْأَمْنِ ،
أَدَانُوهُ بِجَرَمِ النَّصْرِ ، هَلْ جَاءَ زَمَانُ
صَارَ فِيهِ النَّصْرُ مُحْظُورًا عَلَيْنَا يَا بُنَيَّ ؟
ثُمَّ هَلْ جَاءَ زَمَانُ ؟
يَقِفُ السِّيفُ بِهِ مُتَّهَمًا
عِنْدَ أَبْوَابِ الْقَضَاءِ الْعَسْكَرِيِّ

ثُمَّ هَلْ جَاءَ زَمَانٌ ؟
فِيهِ نَسْتَقْبِلُ إِسْرَائِيلَ بِالْوَرْدِ .. وَآلَافِ الْحِمَائِمِ
وَالنَّشِيدِ الْوَطَنِيِّ ..
لَمْ أَعُدْ أَفْهَمُ شَيْئًا يَا بُنَيَّ ..
لَمْ أَعُدْ أَفْهَمُ شَيْئًا يَا بُنَيَّ ..

رَهَنُوا الشَّمْسَ لَدَى كُلِّ الْمَرَايِنِ ،
 وَبَاعُوا بِالْمَلَالِيمِ الْقَمَرَ ..
 كَسَرُوا سَيْفَ عُمَرَ ..
 شَنَقُوا التَّارِيخَ مِنْ رَجْلِيهِ ..
 بَاعُوا الْخَيْلَ ، وَالْكُوفِيَّةَ الْبِيضَاءَ
 بَاعُوا أَنْجُمَ اللَّيْلِ ، وَأُورَاقَ الشَّجَرِ ..
 سَرَقُوا الْكَحْلَ مِنَ الْعَيْنِ ،
 وَبَاعُوا فِي عَيُونِ الْبَدَوِيَّاتِ الْحَوْرَ

أَجْهَضُونَا قَبْلَ أَنْ نَحْبِلَ ..
أَعْطُونَا حُبُوباً
تَمْنَعُ التَّارِيخَ أَنْ يُنْجِبَ أَوْلَاداً ..
وَأَعْطُونَا لِقَاحاً
يَمْنَعُ الشَّامَ بِأَنْ تَصْبَحَ بَغْدَاداً ..
وَأَعْطُونَا حُبُوباً ..
تَمْنَعُ الْجُرْحَ الْفِلَسْطِينِيَّ أَنْ يَصْبَحَ بَسْتَانِ نَخِيلٍ
وَمَارِيْجَوَانَا .. لِقَتْلِ الْخَيْلِ ، أَوْ قَتْلِ الصَّهِيلِ ..
وَسَقُونَا مِنْ شَرَابٍ ..
يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مِنْ غَيْرِ مَوَاقِفٍ
ثُمَّ أَعْطُونَا مَفَاتِيحَ الْوَلَايَاتِ ..
وَسَمَّوْنَا مُلُوكًا لِلطَّوَائِفِ ..

يا صلاح الدين ..
 هل تسمعُ تعليقَ الإذاعاتِ ..
 وهل تُصغي إلى هذا البغاء العَلَنِيُّ ؟
 أَكَلُوا الطُّعْمَ .. وبالوا
 فوق وجه العُنْفوان العربيُّ
 ما الذي يجري على المسرح ؟
 مَنْ يَجْذُبُ خَيْطَانَ السُّتَارِ الْمُخْمَلِيُّ ؟
 مَنْ هُوَ الْكَاتِبُ ؟ لا ندري
 مَنْ الْمُخْرِجُ ؟ لا ندري
 ولا الجمهورُ يدري .. يا بُنَيُّ ..

إِنَّهُمْ خَلَفَ الْكُواليسِ ..
وَهُمْ يَغْتَصِبُونَ امْرَأَةً تُدْعَى الْوِطْنُ ..
وَيَبِيعُونَ الْخِلاخِيلَ بِرِجْلِهَا ..
يَبِيعُونَ الْبِساتينَ بِعَيْنِهَا ..
يَبِيعُونَ الْعِصافيرَ الَّتِي
تَسْكُنُ فِي نَافِذَةِ النُّهْدَيْنِ مِنْ بَدْءِ الزَّمَنِ
وَيَبِيعُونَ بِكَأْسَيْنِ مِنَ الْوِيسْكِ ..
أَمْلاكَ الْوِطْنِ ..

سَرَقُوا مِنَّا الزَّمانَ العَرَبِيَّ
 أَطْفَأُوا الجَمَرَ الَّذِي يُحْرِقُ صَدْرَ البَدَوِيِّ
 عَلَّقُوا لافِتَةَ البَيْعِ عَلَى كُلِّ الجِبَالِ
 سَلَّمُوا الحِنِطَةَ .. والزيتونَ .. والليلَ ..
 وَعِطَرَ البَرْتُقَالَ ..

مَنَعُوا الأحلامَ أَنْ تَحْلُمَ .. ساقُوا
 كُلَّ أنواعِ العَصافيرِ الَّتِي تَكْتُبُ أشعاراً
 إِلَى السَّجَنِ .. فَهَلْ جَاءَ زَمَانٌ ؟
 صَارَ فِيهِ كُلُّ مَنْ يَحْمِلُ صُنْدُوقَ سِلَاحٍ
 كَالَّذِي يَحْمِلُ صُنْدُوقَ حَشِيشٍ ... يَا بُنَيَّ

ثم هل جاء زمان؟
أصبح التحرير والتخدير فيه توأمين..
ثم هل جاء زمان؟
أصبح الفعل به ضدَّ اليمين
ثم هل هل جاء زمان؟
صار فيه الحرف ضدَّ الشفتين؟.

يا صلاح الدين ..
 هذا زمنُ الرِدَّةِ ..
 والمدُّ الشعبيُّ القويُّ
 أحرَقُوا بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ ..
 وألقُوا القبضَ في الليلِ على آلِ النبيِّ
 فشرِيفاتُ قُرَيْشٍ
 صِرْنَ يَغْسِلْنَ صُحُونَ الأَجْنِيِّ ..

يا صلاح الدين ..
 ماذا تنفعُ الكلمةُ في هذا الزمانِ الباطني^٣
 ولماذا نكتبُ الشِعْرَ .. وقد
 نسيَ اللهُ الكلامَ العربي^٤ ؟؟

١٩٧٧

مواويلُ دمشقيّة إلى قمر بغداد

ألقيت في المهرجان الذي أقامه
الاتحاد العام لنساء العراق في بغداد
في ١٠/٢/١٩٧٩ تحت شعار (من
أجل شعر يترجم طموحات الأمة في
وحدتها) .

أَيَقْظَتْنِي بَلْقَيْسُ فِي زُرْقَةِ الْفَجْرِ
وَعَنَّتْ مِنَ الْعِرَاقِ مَقَامًا ..

أَرْسَلَتْ شَعْرَهَا كَنْهَرُ (دِيَالِي)
أَرَأَيْتُمْ شَعْرًا يَقُولُ كَلَامًا ؟

كَانَ فِي صَوْتِهَا الرِّصَافَةُ ، وَالكَرْخُ ،
وَشَمْسٌ .. وَحِنْطَةٌ .. وَخُزَامَى

حَمَلْتُ لِي جَرَائِدَ الْيَوْمِ ، وَالشَّايَ ،
وَفَاضْتُ أُمُومَةً وَابْتِسَامًا

مَا لَهَا زَوْجَتِي تُطَارِحُنِي الْحُبَّ ؟
وَكَانَ الْهَوَى عَلَيْنَا حَرَامًا

لَكَ عِنْدِي بِشَارَةٌ يَا حَبِيبِي
فَعَلَّ الْقَوْمُ مَا فَعَلْنَا تَمَامًا

ذَكَّرُونِي - قَالَتْ - بَلِيلَةَ عُرْسِي
وَرَفِيفِ الْمُنَى ، وَظُرْفِ النَّدَامَى

قَبْلَ عَصْرِ التَّوْحِيدِ نَحْنُ اتَّحَدْنَا
وَجَعَلْنَا (رَاوَا) دِمَشْقَ الشَّامَا

أَخَذُوا الْحُبَّ ، وَالصَّبَابَةَ عَنَّا
وَنَسَوْا أَنَّا اخْتَرَعْنَا الْغَرَامَا

إِنْ يَكُونُوا تَعَلَّمُوا لُغَةَ الْعَشِيقِ
فَنَحْنُ الْمُتَيَّمُونَ الْقُدَامَى

إِلْتِزَامِي أَنَا .. بَوَاجِهِ حَيِّبِي
أَوَلَيْسَ الْحُبُّ الْكَبِيرُ التَّزَامَا ؟

تُهُمَةُ الْحُبِّ لَا تَزَالُ وَرَائِي
لَا رَأَيْ رَبِّي أَرُدُّ اتِّهَامَا

.. وَتَزَوَّجْتُ زَوْجَتِي مِنْ جَدِيدٍ
وَضَحِكُنَا .. وَقَبْلُ كُنَّا يَتَامَى

* * *

يا شِراعاً وراءَ دَجَلَةٍ يجري
إقْتَرَبُ .. إِنِّي أَمُوتُ هُبَامَا

لي على الشُّطِّ نَخْلَةٌ تَيَمَّنَنِي
بهوامها .. فاقرأ عليها السَّلامَا

كيفَ أنسى في (الأَعْظَمِيَّةِ) ظَبِيّاً
أشْعَلَ النَّارَ في دِمَائِي .. وَنَامَا

تلكَ بَغْدَادُ .. بعدَ عَشْرِ سِنِينَ
تلبسُ المَاءُ ، والنجومَ حِزَامَا

دَجَلَةٌ عاشقٌ يزورُ دَمَشَقاً
وَكَرِيمٌ أتى يزورُ كِرَامَا ..

إِنَّ كَفَّ المأمون في كفٍّ مَرَوَانٍ
وماءُ الفُراتِ صار مُداماً

ليلةُ القَدَرِ ، ما أراه أُمَامِي ،
أم يكونُ الذي أراه مناما

بابلُ ضَوَّاتٍ .. وقَبْرُ عَلِيٍّ
تركَ الأرضَ ، واستحالَ غماما

إنتظرنا هذا السزفافَ طويلاً
وشربنا دموعنا أَعِواماً

لا يريدُ المحبوبُ يأتي إلينا
لا ولا النومُ قابِلُ أن يناما

حُلُمٌ مُدْهِشٌ .. أَخَافُ عَلَيْهِ
فَلَكُمْ كَسْرُوا لَنَا أَحْـلَامَا

بَرَدَى . يَا أَبَا النُّهُورِ جَمِيعاً
يَا حَصَاناً يَسَاقُ الْإِيَّامَا

كُنْ بَتَارِيخَنَا الْحَزِينَ نَبِيّاً
يَتَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ الْإِلَهَامَا

الْمَلَائِينَ بَايَعْتُكَ أَمِيراً
عَرِيّاً .. فَصَلِّ فِيهَا إِمَامَا

وَتَزَوَّجْ نَخْلَ الْعِرَاقِ .. وَأَنْجِبْ
خَالِداً ثَانِياً .. وَأَنْجِبْ هَشَامَا ..

* * *

يا عُيُونَ الْمَهَا ببادية الشَّامِ
أَطْلِي .. هذا زمانُ الخُزَامِي

حَبَسُوكُنَّ في الخيام طويلاً
فَغَزَلْنَا من الدُمُوعِ خياماً

وَاسْتَرَدُّوا (الجِسْرَ الْمُعَلَّقَ) مِنَّا
وَاسْتَرَدُّوا الغُرُوبَ والأنساماً

شَهِدَ اللهُ ، ما حَنَثْنَا بوَعْدٍ
أو خَفَرْنَا لمن نُحِبُّ الذِّمَامَا ..

غَيْرَ أَنَّ الرِّيحَ هَبَّتْ عَلَيْنَا
وَرَمَتْنَا على الخَلِيجِ حُطَامَا

عَلَّمُونَا أَنْ لَا نُحِبَّ .. فَخَفْنَا
لَوْ فَعَلْنَا ، أَنْ نَسْتَحِيلَ رُخَامَا

وَاعْتَذَرْنَا عَنْ أَيِّ حُبٍّ بَدِيلٍ
وَرَفَضْنَا التَّخْوِيفَ وَالْإِرْغَامَا

كُلُّ هَذَا الْخِصَامِ ، كَانَ افْتِعَالًا
حِينَ يَقْوَى الْهَوَى ، يَصِيرُ خِصَامَا ..

* * *

يَا شَذَا (الرَّازِقِيَّ) فِي لَيْلِ بَغْدَادَ
عَشِقْنَا .. فَمَنْ يَرُدُّ السِّهَامَا

يَا سُؤَالَ الْوَرْدِ الدِّمَشْقِيِّ عَنِّي
يَا حَقُولًا ، رَكَضْتُ فِيهَا غُلَامَا

سَنَوَاتُ عَشْرٍ .. نَسِيتُ حُرُوفِي
وَدَوَاتِي ، كَمَا نَسِيتُ الْكَلَامَا

مَا كَتَبْنَا .. وَكَيْفَ يَكْتُبُ شِعْرًا
مَنْ يُعَانِي تَمَزُّقًا وَانْفِصَامًا ؟

سَامَحَ اللَّهُ مَنْ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ
سَرَقُوا مِنْ طُفُولَتِي أَعْوَامَا

لِي حَبِيبَانِ ، يَمْلَأَانِ حَيَاتِي
أَتَعْبَانِي تَنَافُورًا وَانْسِجَامًا

لَمْ نُفَرِّقْ مَا بَيْنَ شَعْبٍ وَشَعْبٍ
كَيْفَ يَرْضَى لَوْنُ السَّمَاءِ انْقِسَامَا ؟

وَطَنٌ وَاحِدٌ .. رَسَمَنَاهُ قَمَحًا
وَنَخِيلًا ، وَأَنْجُمًا ، وَيَمَامًا

نَيْنَوَى .. الْبُوكَمَالُ .. طَرطُوسُ .. حِمَصُ
بَابِلُ ، كَرْبَلَاءُ ، رُدِّي السَّلامَا ..

وَطَنٌ وَاحِدٌ .. وَلَا كَانَ شِعْرِي
لَوْ يُغْنِي قَبِيلَةً .. أَوْ نِظَامًا ..

* * *

هَلْ أَتَتْكَ الْأَخْبَارُ يَا مُتَنَبِّي
أَنَّ كَافُورَ فَكَّكَ الْأَهْرَامَا ؟

سَقَطَتْ مِصْرُ فِي يَدَي قُرَوِيٍّ
لَمْ يَجِدْ مَا يَبِيعُ إِلَّا (التُّرَامَا) ..

مَسْرَحِيُّ الطُّمُوحِ ، يلبس وجهاً
للكُومِيديَا .. وثانياً للدِّرَامَا

هو فاروق .. شهوةً ، وغُرُوراً
والخديوي .. تسلُّطاً وانتقاماً

وَعَدَ النَّاسَ بِالرَّحِيقِ وبالشَّهْدِ
ولكن سَقَاهُمُ الأوهامَا

سَاقَ من فَكَّرُوا لمَحْكَمَةِ الأَمْنِ
وألغى المدادَ والأقلامَا ..

وَذَفَّ النِّيلَ مُسْتَشَاراً لَدَيْهِ
وَالْمَلَائِينَ ، سَاقَهَا أَغْنَاماً

أَضْرَمَ النَّارَ فِي مَنَازِلِ عَبَسٍ
وَتَمِيمٍ ، وَأَنْكَرَ الْأَرْحَامَ

عَصَبِيٍّ .. يَصِيحُ فِي مِصْرَ كَالدِّيكِ ..
وَفِي الْقُدُسِ يَمْسَحُ الْأَقْدَامَ

جَرَدُوهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .. وَلَمَّا
اسْتَهْلَكُوهُ ، أَلْقَوْا إِلَيْهِ الْعِظَامَ

* * *

غَيْرَ الثَّائِرُونَ خَارِطَةَ الْأَرْضِ
وَشَدُّوا مِنْ حَوْلِهَا الْأَلْغَامَا

وَاسْتَفَقْنَا مَعَ الَّذِينَ اسْتَفَاقُوا
فَامْنَحُونَا حُرِّيَّةً .. وَطَعَامَا

لَمْ تُغَيِّرْ حَضَارَةُ النَّفْطِ ظَفَرَ
مَنْ أَظَافِرِنَا .. وَلَا إِنْهَامَا

قَدْ حَبَلْنَا بِالنَّفْطِ .. دُونَ زَوَاجٍ
وَوَضَعْنَا ، بَعْدَ الْمَخَاضِ ، سُخَامَا ..

* * *

أَيْقَظَنِي بَلْقِيسُ فِي زُرْقَةِ الْفَجْرِ
وَعَنَّتْ مِنَ الْعِرَاقِ مَقَامَا ..

أَرْسَلْتُ شَعْرَهَا كَنْهَر (دِيَالِي)
أَرَأَيْتُمْ شَعْرًا يَقُولُ كَلَامَا ؟

كَانَ فِي صَوْتِهَا الرِّصَافَةُ وَالكَرْخُ
وَشَمْسٌ .. وَحِنْطَةٌ .. وَخُزَامِي

لَنْ يَكُونَ الْعِرَاقُ إِلَّا عِرَاقًا
وَهَشَامُ الْعَظِيمُ يَبْقَى هِشَامَا ..

مَوَالِدُ دَمَشَقِ

لقد كَتَبْنَا .. وأرسلنا المراسيلا
وقد بَكَيْنَا .. وبللنا المناديبلا

قُلْ للذينَ بأرض الشام قد نَزَلُوا
قتيلُكُمْ لم يَزَلْ بالعشق مقتُولَا ..

يا شامُ . يا شامة الدنيا ، وَوَرَدَتْهَا
يا مَنْ بحسبكِ أوجعتِ الأزاميلا

وَدِدْتُ لَوْ زَرَعُونِي فِيكَ مِثْدَنَةً
أَوْ عَلَّقُونِي عَلَى الْأَبْوَابِ قِنْدِيلًا

يَا بَلَدَةَ السَّبْعَةِ الْأَنْهَارِ .. يَا بَلَدِي
وَيَا قَمِيصًا بَزَهَرَ الْخَوْخَ مَشْغُولًا

وَيَا حِصَانًا تَخَلَّى عَنْ أَعْنَتِهِ
وَرَاخَ يَفْتَحُ مَعْلُومًا ، وَمَجْهُولًا

هَوَاكَ يَا بَرَدِي ، كَالسِّيفِ يَسْكُنُنِي
وَمَا مَلَكَتُ لِأَمْرِ الْحُبِّ تَبْدِيلًا

ما للدمشقيّة الكانت حبيتنا
لا تذكرُ الآنَ طَعْمَ القُبلة الأولى

أيّامَ في دُمَرٍ كُنّا .. وكان فمي
على ضفائرها .. حَفراً .. وتَزيلاً ..

والنهرُ يُسمِعنا أحلى قصائدهِ
والسَرُوّ يلبس بالساقِ الخلاخيلَ

يا مَنْ على ورق الصفصاف يكتُبني
شِعْراً .. وينقُشني في الأرض أيلولا

يا مَنْ يَعِيدُ كَرارِيسِي .. ومدرستي
والقمحَ ، واللوزَ ، والزُّرْقَ المَواويلا

يا شامُ . إِنْ كُنْتُ أُخْفِي ما أُكابِدُهُ
فأَجْمَلُ الحُبِّ حُبٌّ - بَعْدُ - ما قِيلا ...

مؤالک بغدادی

مُدِّي بساطي .. واملاي أكوابي
وانسي العتاب ، فقد نسيتُ عتابي

عَيْنَاكِ يا بغدادُ ، منذُ طفولتي
شَمْسَانِ نَائِمَتَانِ فِي أَهْدَابِي

لا تُنْكِرِي وَجْهِي .. فَأَنْتِ حَبِيبَتِي
وورودُ مَائِدَتِي ، وكأسُ شَرَابِي

بغدادُ .. جُثَّتْ كَالسَفِينَةِ مُتَعَبًا
أُخْفِي جراحاتي وراءَ ثيابي

ورميتُ رأسي فوق صدر أميرتي
وتلاقتِ الشفتانِ بعد غِيَابِ

أنا ذلكَ البَحَّارُ أنفقَ عُمْرَهُ
في البحثِ عن حُبٍّ .. وعن أَحِبَّابِ

بغدادُ .. طرُتُ على حريرِ عباءَةٍ
وعلى صفائرِ زينبٍ وربَّابِ

وهبَطْتُ كالعصفورِ يقصُّدُ عُشَّهُ
والفجرُ عُرْسُ مآذِنِ وَقَبَابِ

حتى رأيتُكَ قطعةً من جواهرٍ
ترتاحُ بين النخلِ والأعْنَابِ

حَيْثُ التَّفَتُّ ، أرى ملامحَ موطني
وَأَشْمُ في هذا الترابِ تُرابي

لم أَغْتَرِبْ أبداً .. فكلُّ سَحَابَةٍ
زَرْقَاءَ .. فيها كِبْرِيَاءُ سَحَابِي

إِنَّ النُّجُومَ السَّاكِنَاتِ هَضَابَكُمْ
ذاتُ النُّجُومِ السَّاكِنَاتِ هَضَابِي ..

بَغْدَادُ عِشْتُ الحُسْنَ في ألوانِهِ
لكنَّ حُسْنَكَ ، لم يَكُنْ بحسابِي

ماذا سأَكْتُبُ عنكَ في كُتُبِ الهوى
فهوَاكِ لا يكفيه أَلْفُ كِتَابِ

* * *

يَغْتَالِنِي شِعْرِي .. فَكُلُّ قَصِيدَةٍ
تَمَتَّصُنِي .. تَمَتَّصُ زَيْتَ شَبَابِي

الْخِنْجَرُ الذَّهَبِيُّ .. يَشْرَبُ مِنْ دَمِي
وَيَنَامُ فِي لَحْمِي ، وَفِي أَعْصَابِي

بَغْدَادُ . يَا هَزَجَ الْأَسَاوِرَ وَالْحُلَى
يَا مَخْزَنَ الْأَضْوَاءِ وَالْأَطْيَابِ

لَا تَظْلِمِي وَتَرَ الرِّبَابَةَ فِي يَدِي
فَالشُّوقُ أَكْبَرُ مِنْ يَدِي وَرَبَابِي

قَبْلَ اللِّقَاءِ الْحُلُوِّ .. كُنْتُ حَبِيبَتِي
وَحَبِيبَتِي تَبْقَيْنَ بَعْدَ ذَهَابِي ..

بغداد ٨ ٣ ١٩٦٢

مذكرات أندلسية

في إسبانيا
 لم أحتج إلى داوة
 ولا إلى حبرٍ أسقي به عطش الورق
 عيون مورينا روساليا
 ترشني بالشوق الأسود
 عيون مورينا روساليا .. دواة سوداء
 أغطُ فيها ولا أسأل ..
 وتشربُ حياتي .. ولا تسأل
 كهودجٍ عربيٍّ يحفرُ مصيره في الأبعاد
 يحفرُ مصيره في مصري

مدريد ١٩٥٥/٨/٥

شَعْرٌ مِيرَانْدَا آلا فِيدِرَا الْكَثِيفُ
 الْمُتَنَفِّسُ كَغَابَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ
 أَطُولُ حِكَايَةَ شَوْقٍ سَمِعْتُهَا فِي حَيَاتِي
 مَا أَكْثَرَ حِكَايَا الشَّوْقِ الَّتِي سَمِعْتُهَا فِي حَيَاتِي
 وَأَكَلْتُ حَيَاتِي ...

الراقصةُ الإسبانيةُ ..
 تقولُ بأصابعها كلَّ شيءٍ
 والرقصُ الإسبانيُّ هو الرقصُ الوحيدُ
 الذي يستحيلُ فيه الإصبعُ إلى فَمٍ
 النداءُ الساخنُ .. والمواعيدُ العطشى ..
 والرضى .. والغَضَبُ .. والشهوةُ .. والتمني
 كلُّ هذا يقالُ بشَهَقَةِ إصبعٍ ..
 بنَقْرَةِ إصبعٍ ..

أنا في محلِّي ..
وسَمْفُونِيَّةُ الأصابع هناك
تحصدني ..
تشيلني
تحطُّني على تَنُورَةٍ أندلسيَّة
سرقتُ زَهْرَ الأندلس كُلَّهُ ولم تسألْ ..
وسرقتُ نَهَارَ عُيُونِي
ولم تسألْ ..

* * *

أنا في محلِّي ..
والكأسُ العشرونَ في محلِّها
وسَمْفُونِيَّةُ الأصابعِ
في أَوْجِ مدِّها وجَزْرِها
والمطرُ الأسودُ المتساقطُ من فَتَحَاتِ العيونِ الواسعةِ
شيءٌ لا يعرفُهُ تاريخُ المَطَرِ
لا تذكُرُهُ ذاكرةُ المَطَرِ
أنا في محلِّي ..
فيا مَطَرَ الأعينِ السودِ
سألتُكَ .. لا تَنْقَطِعْ ..

غرناطة ١٠/٨/١٩٥٥

ما تَمَنَيْتُ أَنْ أَكُونَ عُرْوَةً فِي رِداءِ
 إِلَّا فِي الْمُتَحَفِّ الْحَرْبِيِّ فِي مَدْرِيدِ
 الرِّداءِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ
 وَالسِّيفِ سِيفُهُ ..
 السَّائِحُونَ الْأَجَانِبَ لَا يَسْتَوْقِفُهُمُ الرِّداءُ ..
 وَلَا السِّيفُ ..

أما أنا ..

فيربطني بالرداء .. وبصاحب الرداء ..

ألفُ سَبَبُ

هل تعرفونَ كيف يقفُ الطفلُ اليتيمُ

أمام ثياب أبيه الراحلِ ؟ ..

هكذا وقفتُ أمام الخزانة الزجاجية المغلقة

أستجدي الزرَكَشَاتُ

آكلُ بخيالي النسيجَ ..

خيطاً ..

خيطاً ..

ومع هذا ..
لم يتركني أبو عبد الله الصغيرُ
وحدي في المدينة ..
كانَ كلَّ ليلةٍ يلبسُ رداءهُ
ويتركُ الخزانةَ الزجاجيةَ ..
في المتحفِ الحربيِّ
ليمشي معي في (بولفار الكاستيانا) في مدريدُ
ليدلّني على وريثاته الأندلسيّاتُ
واحدةً .. واحدةً ..

- هل تعرف هذه الجميلة؟

- لا

- هذه كان اسمها (نُوار بنت عمَّار) وكان

أبوها عمَّار بن الأحنف ، رجلاً ذا فضلٍ ويسار ،
وكانت نُوارُ هذه ، تدرجُ كالقَطَاة بيننا ، وتنهضُ
كالنَّخْلة المَيْسَاء بين صويحباتها في الحيّ ...

- لماذا لا نُناديها يا أبا عبد الله ؟

- إنَّها لا تعرفُ اسمها !!

- وهل ينسى أحدٌ اسمَه ؟

- نعم .. هذا يحدث في التاريخ ...
 NORA AL AMARO إِنَّ اسْمَهَا الْآنَ أَصْبَحَ
 بدلاً من نُوار بنت عَمَّارٍ ..
 - يا نُورا ...
 - ماذا تريدان ؟
 - لا شيء .. كلُّ ما في الأمر أَنَّ هذا الرجل
 كَانَ صديقاً لأبيكَ في دمشق .. وهو يرغبُ
 في تحيَّتك ...
 - صديقاً لأبي في دمشق ؟؟
 - نعم .. أنتِ لا تذكرينَ ذلك .. لأنَّكَ كنتِ
 يومئذٍ طفلة ...
 - ربَّما ..
 - عمي مساءً ...
 BUENAS NOCHES -

قرطبة ١٢/٨/١٩٥٥

القُرْطُ الطويل
 في أُذُنِ آناليزا دوناليا
 دَمْعَةٌ تَرَكْتَ الْأُذُنَ مِنْذَ قُرُونٍ
 وَلَمْ تَصِلْ إِلَى مِرْفَأِ الْكَتِفِ بَعْدُ ..
 هَذَا الْقُرْطُ الطويلُ
 وَكُلُّ قُرْطٍ طَوِيلٍ
 فِي أُذُنِ كُلِّ سَيِّدَةٍ إِسْبَانِيَّةٍ
 مُحَاوَلَةٌ مُسْتَمِيتَةٌ ..
 لِلْوُصُولِ إِلَى مَقْلَعِ الضَّوءِ فِي الْكَتِفَيْنِ ...

يا قُرْطَ أناليزا دوناليا ..
لا وصلتَ أبداً إلى مُشْتَهَاكَ
ولا انتهتَ رَحْلُتُكَ
لأنَ تعيشَ بوهم الكَتِفِ ..
خيرٌ لكَ ألفَ مرَّةٍ ..
من أن تدفنَ طموحَكَ في رخامِها ..
يا قُرْطَ أناليزا دوناليا
يا جُوعَ الضوءِ إلى الضوء ..
قلبي معك ..

في أزقة قرطبة الضيقة ..
 مددتُ يدي إلى جيبِي أكثرَ من مرّة ..
 لأُخرجَ مفتاحَ بيتنا في دمشق ..
 أحواضُ الشمشير .. واللَّيلِكِ .. والقرطاسيا ..
 البركةُ الوسطى ، عَيْنُ الدارِ الزرقاءِ
 الياسمينُ الزاحفُ على أكتافِ المخادعِ ..
 وعلى أكتافنا ..
 النافورةُ الذهبيةُ ، طفلةُ البيتِ المدلّلة ..
 التي لا تنشفُ لها حُجْرَةٌ ..
 والقاعاتُ الظليلةُ أواني الرطوبة .. ومخبؤها ..

كلُّ هذه الدنيا المطيَّبة التي احتضنت طفولتي في دمشق ..
وجدتها هنا ..

فيا سيدي المتكئة على نافذتها الخشبيَّة
لا تُراعي .. إذا غسَلْتُ يدي في بِرْكِكَ الصغيرة
وقطفتُ واحدةً من ياسميناتك ..

ثم صعدتُ الدرج .. إلى حُجْرة صغيرة ..
حُجْرة شرقيَّة مُطعمَةٍ بالصدف ..

تتسلَّقُ شبابيكها الشمسُ .. ولا تسألُ
ويتسلَّقُ أستارها اللَّيْلُ .. ولا يسألُ
حُجْرة شرقيَّة ..

كانت أُمِّي تنصبُ فيها سريري ...

قرطبة ١٨/٨/١٩٥٥

اوراقٴ إسبانية

١٩٦٦ - ١٩٦٢

(١)
الجسر

إسبانيا
جِسْرٌ من البُكاء ..
يمتدُّ بين الأرض والسماء

(٢)

سوناتا

على صدر قيثارةٍ باكيةٍ
تَمُوتُ .. وتولدُ إسبانيَّةُ ...

(٣)

الفارسُ والوردة

إِسْبَانِيَا

مراوِحُ هَفْهَافَةٌ تُمَشِّطُ الهَوَاءَ
وَأَعْيُنُ سُودَاءٍ .. لَا بَدْءَ لَهَا ، وَلَا انْتِهَاءَ
قُبْعَةٌ تُرْمَى أَمَامَ شَرْفَةِ الْحَبِيبَةِ
وَوَرْدَةٌ رَطِيبَةٌ ..

تَطِيرُ مِنْ مَقْصُورَةِ النِّسَاءِ
تَحْمِلُ فِي أَوْرَاقِهَا الصَّلَاةَ وَالْدُعَاءَ
لِفَارِسٍ مِنَ الْجَنُوبِ ، أَحْمَرِ الرِّدَاءِ
يَدَاعِبُ الْفَنَاءَ
وَكُلُّ مَا يَمْلِكُهُ سَيْفٌ .. وَكَبْرِيَاءٌ ..

(٤)

بيتُ العصفير

بإشبيليَّة
تُعلِّقُ كلُّ جميلَةٍ
على شَعْرَها وردةً قانيَّة
تُحطُّ عليها مساءً
جميعُ عصفير إسبانيَّة ..

(٥)

مراوحُ الإسبانيّات

إذا لَمَلَمَ الصيفُ أشياءهُ
ومات الربيعُ على الرايةِ
تفتَحُ ألفُ ربيعٍ جديدٍ
على ألفِ مَرَّوَحَةٍ زاهيةٍ ..

(٦)

اللؤلؤ الأسود

شوارعُ غرناطةٍ في الظهيرةِ

حقولٌ من اللؤلؤِ الأسودِ ..

فمِنْ مقعدي

أرى وطني في العيون الكبيرةِ

أرى مثذناتِ دمشقَ ..

مُصَوَّرةً فوق كلِّ ضفيرةٍ ...

(٧)

دونيا ماريا

تُمزَّقُني دونيا ماريّة
بعينين أوسعَ من بادية
ووجهٍ عليه شمسُ بلاذي
وروعةُ آفاقها الصاحبة ..
فأذكرُ متزلنا في دمشق ..
ولشعةَ بركتهِ الصافية
ورقصَ الظلال بقاعاته
وأشجارَ ليمونه العالية

وباباً قديماً .. نَقَشْتُ عليه
بخطٍ رديٍّ حكاياتِهِ
بَعَيْنَيْكَ يا دُونِيا ماريَه
أرى وطني مرةً ثانيَه ...

(٨)

الْقُرْطُ الطَمُوح

على أُذُنِي هذه الغانِيَّةُ
تأرجَحُ قُرْطٌ رَفِيعٌ
كما يضحكُ الضوُّ في الآيَةِ
يَمُدُّ يَدَيْهِ .. ولا يستطيعُ
وُصُولاً .. إلى الكَتِفِ العاريَةِ ..

(٩)

الثور

برغمِ التزيف الذي يعتريه
برغمِ السهامِ الدفينة فيه
يظلُّ القتيلُ على ما به ..
أَجَلٌ ، وأكبرَ .. من قاتليه ...

(١٠)
نزيفُ الأنبياء

كُورِداً ..
كُورِداً ...
ويندفعُ الثورُ نحو الرداءِ
قويّاً ، عنيدا
ويسقطُ في ساحة الملعبِ
كأيِّ شهيدٍ ، كأيِّ نبي
ولا يتَخَلَّى عن الكبرياءِ ..

(١١)

بقايا العرب

فَلَا مَنُكُو ..

فَلَا مَنُكُو ..

وتستيقظُ الحانةُ الغافيةُ

على قَفْهَقَاتِ صُنُوجِ الخَشَبِ

وَبَحَّةِ صوتِ حزينِ

يسيلُ كنافورةٍ من ذَهَبِ

وأجلسُ في زاويةٍ

أَلُمُّ دموعي ..

أَلُمُّ بقايا العَرَبِ ..

أحزانٌ في الأندلس

كَتَبْتُ لِي .. يَا غَالِيَّةُ
كَتَبْتُ تَسْأَلِينَ عَنْ إِسْبَانِيَّةُ
عَنْ طَارِقٍ ،
يَفْتَحُ بِاسْمِ اللَّهِ .. دُنْيَا ثَانِيَّةُ
عَنْ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ
يَزْرَعُ شَتْلَ نَخْلَةٍ
فِي قَلْبِ كُلِّ رَايِيَّةٍ ..

سَأَلْتُ عَنْ أُمِّيَّةٍ
سَأَلْتُ عَنْ أَمِيرِهَا مُعَاوِيَةَ
عَنْ السَّرَايَا الزَّاهِيَةِ
تَحْمِلُ مِنْ دَمَشْقَ فِي رِكَابِهَا
حَضَارَةً ..
وَعَافِيَةً ...

* * *

لم يبقَ في إسبانيَّة
مِنَّا ..
وَمِنْ عُصُورِنا الثَّمانِيَّةِ
غَيْرُ الَّذي يَبقى مِنَ الخَمْرِ
بِجَوفِ الآنيَّةِ ..
وأَعْيُنٍ كَبيْرَةٍ .. كَبيْرَةٍ ..
ما زالَ في سَواذِها
يَنامُ ليلُ البادِيَةِ ..

لم يَبْقَ من قُرْطُبَةٍ
سوى دموع المثلذات الباكية
سوى عبير الوردِ ،
والنَّارَنْجِ ،
والأضالِيَةِ ..
لم يَبْقَ من (وَلَادَةٍ)
ومن حكايا حُبِّها ..
قافيةٌ ...
ولا بقايا قافيةٍ ..

* * *

لم يَبْقَ من غَرْناطَةٍ ..
ومن بني الأَحْمَرِ ..
إِلَّا ما يَقُولُ الراوِيَةُ
وغيرُ (لا غَالِبَ إِلَّا الله) ..
تَلْقَاكَ بِكُلِّ زاوِيَةٍ
لم يَبْقَ إِلَّا قَصْرُهُمْ
كأَمْرَأَةٍ من الرُّخامِ عَارِيَةٍ
تَعِيشُ - لا زَالَتْ - على
قِصَّةِ حُبٍّ ماضِيَةٍ ..

* * *

مَضَتْ قُرُونٌ خَمْسَةٌ ..
مُذْ رَحَلَ (الْخَلِيفَةُ الصَّغِيرُ) عَنْ إِسْبَانِيَّةٍ ..
وَلَمْ تَزَلْ أَحْقَادُنَا الصَّغِيرَةَ
كَمَا هِيَ ..
وَلَمْ تَزَلْ عَقْلِيَّةُ الْعَشِيرَةِ ..
فِي دَمِنَا كَمَا هِيَ ...
وَلَمْ تَزَلْ
حُرِّيَّةُ الرَّأْيِ هُنَا
دَجَاجَةً مَذْبُوحَةً ..
بَسِيفٍ كُلِّ طَاغِيَةٍ

حوارُنا اليوميُّ بالخناجرِ ..
أفكارُنا أشبهُ بالأظافرِ
مَضَتْ قرونٌ خمسةُ
ولا تزالُ لَفْظَةُ العُرُوبَةِ
كزهرةٍ حزينةٍ في آنيهِ ..
كطفلةٍ جائعةٍ ، وعاريهِ
نصلُّها ..

على جدارِ الحقدِ والكراهيةِ ..

* * *

مَضَتْ قُرُونٌ خَمْسَةٌ ..

يا غَالِيَّةَ

كَأَنَّا ..

نَخْرُجُ هَذَا الْيَوْمَ مِنْ إِسْبَانِيَّةٍ !! .

مدريد ١٩٦٤

عَزَاطَة

في مَدْخَلِ (الحمراء) .. كان لِقَاؤُنَا
ما أَطِيبَ اللَّقْيَا بِلا مِيعَادِ

عَيْنَانِ سَوْدَاوَانِ .. فِي حَجَرَيْهِمَا
تَتَوَالَدُ الْأَبْعَادُ مِنْ أَبْعَادِ ..

هَلْ أَنْتِ إِسْبَانِيَّةٌ ؟ سَاءَلْتُهَا
قَالَتْ : وَفِي غِرْنَاطَةِ مِيلَادِي

غَرْنَاطَةٌ ! وَصَحَتْ قُرُونٌ سَبْعَةٌ
فِي تَيْنِكَ الْعَيْنَيْنِ بَعْدَ رُقَادِ
وَأُمِّيَّةٍ رَايَاتُهَا مَرْفُوعَةٌ
وَجِيَادُهَا مَوْصُولَةٌ بِجِيَادِ
مَا أَغْرَبَ التَّارِيخَ كَيْفَ أَعَادَنِي
لَحْفِيدَةٍ سَمَاءٍ مِنْ أَحْفَادِي ..
وَجْهٌ دِمَشْقِيٌّ .. رَأَيْتُ خِلَالَهُ
أَجْفَانِ بَلْقِيسٍ ، وَجِيدَ سَعَادِ

ورأيتُ متزلنا القديم .. وحُجْرَةً
كانتُ بها أُمِّي تَمُدُّ وَسَادِي

والياسمينَةَ ، رُصِّعَتْ بنجومها
والبرُكَّةَ الذهبيَّةَ الإنشَادِ ..

وَدَمَشْقُ ... أَيْنَ عَمْرُؤُ ؟ لَيْتُ تَرَى حَنَاهَا
فِي شَعْرِكَ الْمُنْكَبِرِ نَهْرَ سَوَادِ

فِي وَجْهِكَ الْعَرَبِيِّ ، فِي الثَّغْرِ الَّذِي
مَا زَالَ مَخْتَرَنًا شَمْسًا بِسِلَادِي ..

في طيب (جَنَاتِ العَرِيفِ) ومائها
في الفُلِّ ، في الرِّيحَانِ ، في الكَبَادِ

* * *

سارتُ معي .. والشَّعْرُ يلهث خلفها
كسنا بلِ تُرِكَتْ بغيرِ حَصَادِ

يتأَلَّقُ القُرْطُ الطويلُ بأُذُنِهَا
مثلَ الشموعِ بليلةِ المِيلَادِ

ومشيتُ مثلَ الطفلِ خلفِ دليتي
وورائيَ التاريخُ كَوْمُ رَمَادِ

الزَخْرَفَاتُ أَكَادُ أَسْمَعُ نَبْضَهَا
وَالزَّرَكَشَاتُ عَلَى السَّقُوفِ تُنَادِي

قَالَتْ : هُنَا (الحمراء) زَهُوُ جَدُودِنَا
فَاقْرَأْ عَلَى جُذْرَانِهَا أَمْجَادِي

أَمْجَادُهَا !!! وَمَسَحْتُ جُرْحاً نَازِفاً
وَمَسَحْتُ جُرْحاً ثَانِياً بِفِؤَادِي

يَا لَيْتَ وَارِثِي الْجَمِيلَةَ أَدْرَكَتْ
أَنَّ الَّذِينَ عَنَتَهُمْ أَجْدَادِي

* * *

عَانَقْتُ فِيهَا عِنْدَمَا وَدَّعْتُهَا
رَجُلًا يُسَمَّى (طَارِقَ بْنِ زِيَادٍ) ..

غرناطة ١٩٦٥

يَا سِتِّ الدُّنْيَا يَا بَيْرُوتَ

يا سِتَّ الدنيا يا بيروت ...
 مَنْ باعَ أساورَكَ المشغولةَ بالياقوتِ ؟
 مَنْ صادَرَ خاتمَكَ السحريَّ ،
 وقصَّ ضفائركَ الذهبيَّةَ ؟
 من ذبحَ الفرحَ النائمَ في عينيكِ الخضراوينِ ؟

من شَطَبَ وجهك بالسكين ،
وَألقى ماء النار على شفتيك الرائعتين
من سَمَمَ ماء البحر ، ورشَّ الحقدَ على الشُّطَّانِ الوردية ؟
ها نحنُ أتينا .. معتردين .. ومُعْتَرِفِينَ
أنا اطلقنا النارَ عليكِ بِرُوحِ قَبْلِيَّةٍ ..
فقتلنا امرأة .. كانت تُدعى (الحرية) ...

ماذا نتكلّمُ يا بيروت ..
 وفي عينيكِ خلاصةُ حُزنِ البشريّةِ
 وعلى نهديكِ المُحتَرَقَيْنِ .. رمادُ الحربِ الأهلِيّةِ
 من كان يُفكّرُ أن نتلاقى - يا بيروت - وأنتِ خرابٌ؟
 من كان يُفكّرُ أن تنمو للوردةِ آلافُ الأنيابِ؟
 من كان يُفكّرُ أنَّ العينَ تقاتلُ في يومٍ ضدَّ الأهدابِ؟

ماذا نتكلّمُ يا لؤلؤتي ؟ ..
يا سُنْبُلتي .. يا أَقْلامي .. يا أَحلامي ..
يا أوراقي الشعريّة ..
من أينَ أتتكَ القَسَوَةُ يا بيروتُ ،
وكنْتَ برقّةً حُوريّةً ..
لا أفهمُ كيفَ انقلبَ العُصفورُ الدُّوريُّ ..
لقطّةٍ ليليٍ وحشيّةٍ ..
لا أفهمُ أبداً يا بيروتُ
لا أفهمُ كيفَ نسيَتِ اللهَ ..
وعُدّتْ لعصرِ الوثنيّةِ ..

قُومي من تحت الموج الأزرقِ ، يا عَشْتَارُ
 قُومي كقصيدة وردٍ ..
 أو قُومي كقصيدة نارُ
 لا يُوجدُ قبْلَكَ شيءٌ .. بَعْدَكَ شيءٌ .. مِثْلَكَ شيءٌ ..
 أنتِ خلاصاتُ الأعمارِ ..
 يا حقلَ اللؤلؤِ ..
 يا ميناءَ العشقِ ..
 ويا طاووسَ الماءِ ..

قُومِي من أجل الحُبِّ ، ومن أجل الشعراء
قُومِي من أجل الخبز ، ومن أجل الفقراء
الحُبُّ يريدُكُ .. يا أحلى الملكاتُ ..
والربُّ يريدُكُ ، يا أحلى الملكاتُ
ها أنتِ دفعتِ ضريبةَ حسنكِ مثلَ جميعِ الحسناتِ
ودفعتِ الجزيةَ عن كُلِّ الكَلِماتِ ..

قُومي من نومك ..
 يا سُلْطَانَةُ ، يا نَوَّارَةُ ، يا قنديلًا مشتعلًا في القلب
 قُومي كي يبقى العالمُ يا بيروت ..
 ونبقى نحن ..
 ويبقى الحُبُّ ...
 قُومي .. يا أحلى لؤلؤةٍ أهداها البحرُ
 الآنَ عرفنا ما معنى ..
 أن نقتل عُصفُورًا في الفجرِ
 الآنَ عرفنا ما معنى ..
 أن ندلقَ فوق سماء الصيفِ زُجاجةَ حَبْرٍ
 الآنَ عرفنا ..
 أَنَّا كُنَّا ضِدَّ الله .. وضِدَّ الشَّعْر ..

يا سِتَّ الدنيا يا بيروت ..
 يا حيثُ الوعدُ الأوَّلُ .. والحبُّ الأوَّلُ ..
 يا حيثُ كتبنا الشعرَ .. وخَبَّناهُ بأَكياسِ المُخْمَلِ ..
 نَعْرِفُ الْآنَ .. بَأَنَّا كُنَّا يا بيروتُ ،
 نُحِبُّكَ كَالْبَدْوِ الرُّحَّلِ ..
 وَنُمَارِسُ فِعْلَ الْحُبِّ .. تَمَاماً
 كَالْبَدْوِ الرُّحَّلِ ...
 نَعْرِفُ الْآنَ .. بَأَنكَ كُنْتَ خَلِيلَتَنَا
 نَأْوِي لِفِرَاشِكَ طَوْلَ اللَّيْلِ ...
 وَعِنْدَ الْفَجْرِ ، نَهَاجِرُ كَالْبَدْوِ الرُّحَّلِ

نَعْرِفُ الْآنَ .. بَأْنَا كُنَّا أُمِّيَّينَ ..
وَكُنَّا نَجْهَلُ مَا نَفْعَلُ ..
نَعْرِفُ الْآنَ ، بَأْنَا كُنَّا مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَةِ ..
وَرَأَيْنَا رَأْسَكَ ..
يَسْقُطُ تَحْتَ صُخُورِ الرُّوشَةِ كَالْعَصْفُورِ
نَعْرِفُ الْآنَ ..
بَأْنَا كُنَّا - سَاعَةً نَفَّذَ فِيكَ الْحُكْمُ -
شُهُودَ الزُّورِ ..

نَعْتَرِفُ أَمَامَ اللَّهِ الْوَاحِدِ ..

أَنَا كُنَّا مِنْكَ نَغَارُ ..

وَكَانَ جَمَالُكَ يُؤْذِينَا ..

نَعْتَرِفُ الْآنَ ..

بِأَنَّ لَمْ نُنْصِفْكَ .. وَلَمْ نَعْذُرْكَ .. وَلَمْ نَفْهَمْكَ ..

وَأَهْدَيْنَاكَ مَكَانَ الْوَرْدَةِ سِكِّينَا ...

نَعْتَرِفُ أَمَامَ اللَّهِ الْعَادِلِ ...

أَنَا رَاوِدْنَاكَ .. وَعَاشِرْنَاكَ .. وَضَاجَعْنَاكَ ..

وَحَمَلْنَاكَ مَعَاصِينَا ..

يَا سَيِّدَ الدُّنْيَا ، إِنَّ الدُّنْيَا بَعْدُكَ لَيْسَتْ تَكْفِينَا ..

الْآنَ عَرَفْنَا .. أَنَّ جَذُورَكَ ضَارِبَةٌ فِينَا ..

الْآنَ عَرَفْنَا .. مَاذَا اقْتَرَفَتْ أَيْدِينَا ..

الله .. يفتش في خارطة الجنة عن لبنان
 والبحر يفتش في دفتره الأزرق عن لبنان
 والقمر الأخضر ..
 عاد أخيراً كي يتزوج من لبنان ..
 أعطيني كفك يا جوهرة الليل ، وزنبقة البلدان
 نعرف الآن ..
 بأننا كنا سادين ، ودمويين ..
 وكنا وكلاء الشيطان

يا سِتَّ الدنيا يا بيروت ..
قومي من تحت الرَّدْم ، كزهرة لوزٍ في نيسان
قومي من حُزنك ..
إنَّ الثورة تُولِّدُ من رَحمِ الأُحزان
قومي إكراماً للغاباتِ ..
وللأنهار ..
وللوديان ..
قومي إكراماً للإنسان ..
إنَّا أخطأنا يا بيروت ..
وجئنا نلتمسُ الغُفران ..

ما زلتُ أُحِبُّكَ يا بيروتُ المجنونةُ ..
 يا نهرَ دماءٍ وجواهرٍ ..
 ما زلتُ أُحِبُّكَ يا بيروتُ القلبِ الطيّبِ ..
 يا بيروتُ الفوضى ..
 يا بيروتُ الجوعِ الكافرِ ... والشبعِ الكافرِ ..
 ما زلتُ أُحِبُّكَ يا بيروتُ العدلِ ..
 ويا بيروتُ الظلمِ ..
 ويا بيروتُ السّمي ..
 ويا بيروتُ القاتلِ والشاعرِ ..

ما زلتُ أُحِبُّكَ يا بيروتُ العِشْقِ ..
ويا بيروتُ الذَّبْحِ من الشُّرَيَانِ إلى الشُّرَيَانِ ..
ما زلتُ أُحِبُّكَ رَغَمَ حِمَاقَاتِ الْإِنْسَانِ
ما زلتُ أُحِبُّكَ يا بيروتُ ..
لماذا لا نبتدىءُ الآن؟؟

سَبْعُ رَسَائِلْ ضَائِعَةٍ
فِي بَرِيدِ بِيْرُوتَ

يا حبيبة :

بعد عامينِ طويلينِ من الغُربةِ والنَّفْيِ ..

تَذَكَّرْتُكَ فِي هذا المساءِ ..

كُنْتُ مَجْنُوناً بِعَيْنِكَ ..

وَمَجْنُوناً بِأُورَاقِي ..

وَمَجْنُوناً لِأَنَّ الحُبَّ جَاءَ ..

وَلِأَنَّ الشَّعَرَ جَاءَ ..

كُنْتُ أَبْكِي ضَاحِكاً مِثْلَ المَجَازِيبِ .. لِأَنِّي

أَسْتَطِيعُ الْآنَ ، يَا سَيِّدَتِي ، أَنْ أَتَذَكَّرَ ..

مُدْهَشٌ أَنْ أَتَذَكَّرَ ..

مُدْهَشٌ أَنْ أَتَذَكَّرَ ..

ليس سهلاً في زمان الحرب أن يسترجعَ الانسانُ
وجه امرأةٍ يعشقها ..
فالحربُ ضدَّ الذاكرةِ ...
ليس سهلاً في زمان القبح ..
أن أجمعَ أزهارَ المانوليا ..
والفراشاتِ التي تخرجُ ليلاً من شبابيكِ العيونِ الماطرةِ
قدَفَتني هذه الحربُ بعيداً عن محيطِ الدائرةِ ..
ألغَتِ الخطَّ الحليبيَّ الذي ينزل من ثديكِ ..
نحوِ الخاصرةِ ..

يا صديقه :

عائدٌ من زَمَنِ اللاشِعْرِ .. عاري القدمينُ

عائدٌ دونَ شِفاهِ ..

عائدٌ دونَ يَدَيْنِ ..

إنَّ حَرْبَ السَّنَتَيْنِ

كَسَرَتْني ..

كَسَرَتْ سُنْبُلَةَ القَمْحِ الَّتِي تَنْبَتُ بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ ..

جَعَلَتْني عَاطِلاً عَنِ عَمَلِ الحُبِّ ...

فَلَمْ أَقْرَأْ مِزَامِيرِي لِعَيْنِكَ ..

وَلَا قَابَلْتُ عَصْفُوراً غَرِيباً ...

أَوْ قَصِيدَةً ...

أفقدتني ذلك الطهر الطفولي الذي يُدخلني مملكة الله ،
ويعطيني مفاتيح اللغات النادرة ..
فاعذريني .. إن تأخرتُ عن الوعد قليلا ..
فلقد كان وصولي مستحيلا ..
وبريدي مستحيلا ..
إن آلاف الحواجز
وقفت ما بين عينيك .. وبينني ..
أطلقوا النارَ على الحُلم فأردوه قتيلا ..
أطلقوا النارَ على الحُبِّ فأردوه قتيلا ..
أطلقوا النارَ على البحر ، على الشمس ، على الزرع ،
على كُتب الأطفال ، قصّوا شعرَ بيروت الطويلا ..
سرقوا العمرَ الجميلا ...

يا بعيدة :
 أيّ أخبارٍ تُريدِينَ عن الشَّعرِ وعَنِّي ؟ ..
 أخذوا بيروتَ مِنِّي ..
 أخذوا بيروتَ ، يا سيّدي ، منكِ ومِنِّي ..
 سرقوا (مَنقُوشَةَ الزَّعْتَرِ) من بين يدينا ..
 سرقوا (الكورنيشَ) .. والأصدافَ ..
 والرملَ الذي كان يغطّي جسدنا ..
 سرقوا منا زمانَ الشعرِ ، يا لؤلؤتي ،
 والكتاباتِ التي تسقطُ مثلَ الكَرَزِ الأحمرِ
 من بين الأصابعِ ..

سرقوا رائحة البنّ ..
وأحلامَ المقاهي .. وقناديلَ الشوارعُ
ذلك الصوتُ الذي يصدر عني ليس صوتي ..
انني أكتبُ من داخل موتي ..
أينَ أنتِ الآنَ .. يا مَنْ لم أجد في هذه الغابة ..
صدرأ يحتويني .. غيرَ أنتِ ؟ ..
سرقوا مني طواحيني .. وفرساني .. وفرشاتي ..
والواني ... وأشياي الصغيرة ..
واليواقيتَ التي جئتُ بها من آخر الدنيا لفستان الأميرة ..
لم أكنُ أعلمُ يا سيّدي ..
أنَّ أشياي الصغيرة ..
هي أشياي الكبيرة ..

يا رقيقه :

جاءني هاتُفكِ اليومَ خجولاً مثل عطر البرتقالِ
سائلاً عني .. وهل أجملُ من هذا السؤالُ ؟ ..
إنني أحيا ..

ولكنُ ما الذي يعنيه يا سيّدي
أن يكون المرءُ موجوداً على قيد الحياة ؟ ..
إن تُحييني اسأليني كيفَ حالُ الكلماتِ
دخلتُ في جسدِ الشعر .. ألوفُ الطلقاتِ ..

نحنُ من عامين ..
لم نُزهِر .. ولم نُورق .. ولم نطرحُ ثَمَرَ ..
نحنُ من عامين لم نُبرق .. ولم نُرعد ..
ولم نركض كمجنونين - يا سيّدي - تحت المطر ..
نحنُ من عامين ..
لم نخرج عن المألوف في العشق ..
ولم نخرج على اليوميّ والعاديّ ..
لم ندخلْ أقاليمَ الغرابة ..

آهِ .. كم عانيتُ من داءِ الكآبةِ
آهِ .. كم عانيتُ من موتِ الكتابةِ
شَنَقُونِي بِخِيوطِ المفرداتِ
طَرَدُونِي ..
خلفَ أسوارِ اللغاتِ ..
أغلقوا في وجهِ حُبِّي الطُّرُقَاتِ ..
فَتَّشُونِي ..
لم أكنْ أحملْ إلا وردةَ الشعرِ ..
وحزني ..
وجنوني ..

لم أكنُ أحملُ - إلا أنتِ يا سيّدي - بين عُيوني ..
ولهذا أرجعوني
كنتُ ، يا سيّدي ، في موقع الحبّ ..
لهذا لم أكنُ في جملة المتصرّين ..
كنتُ يا سيّدي ، في جانب الشّعْر .. لهذا ..
صنّفوني بورجوازيّاً صغيراً ..
وأضافوني إلى قائمة المنحرفين ..
لم أكنُ في زمن القبح قبيحاً ..
إنما كنتُ صديقَ الياسمين ...

يا أثيرة :
أين أنتِ الآنَ يا مَنْ لم أجد عنوانَ عينيكِ
على كلِّ الخرائط ..
أينَ أنتِ الآنَ يا مَنْ لم أجد آثارَ أقدامكِ في كلِّ الفنادقِ
لم أعد أعرف شيئاً عنكِ ..
في أيِّ بلادٍ أنتِ ؟
ماذا تفعلينَ اليومَ ؟
ماذا تشعرينَ الآنَ ؟
هل ضيّعتِ إيمانكِ مثلي بجميع الآلهة ..
وتقاليد القبائل ؟ .

هل تُحَيِّينَ كما كنتِ ؟
وتهَمِّينَ بالشُّعْرُ كما كنتِ ؟
وتشتاقينَ للشُّوقِ كما كنتِ ؟
أم أنَّ الحربَ داستُ ورقَ الوردِ .. وأعناقَ السنابلِ ؟
بعثرتنا هذه الحربُ اللثيمة ..
بشَعْتنا .. شوْهَتْنا ..
أحرقَتْ كلَّ الملقَّاتِ القديمة ..
لا تُجيبيني .. إذا كانتْ سؤالاتي غريبة ..
كلُّ ما يشغلُ بالي يا حبيبة ..
أنْ تكوني أنتِ في خيرٍ .. وعيناكِ بخيرٍ ..

أَيْنَ بِيروتُ التي تَحْتالُ بِالقُبْعَةِ الزرقاءِ مِثْلَ المَلِكَةِ ؟
 أَيْنَ بِيروتُ التي كانتْ على أوراقنا ..
 ترقصُ مِثْلَ السَّمَكَةِ ..

ذَبَحُوها ..

ذَبَحُوها ..

وهي تَسْتَقْبِلُ ضَوْءَ الفَجْرِ مِثْلَ اليَاسْمِينَةِ ..

من هو الرابِعُ من قَتَلَ مَدِينَةَ ؟

ضَيَّعُوا بِيروتَ ، يا سَيِّدَتِي

ضَيَّعُوا أَنْفُسَهُمْ إِذْ ضَيَّعُوها ..

سَقَطَتْ كَالخَاتَمِ السَّحَرِيِّ فِي المَاءِ .. وَلَمْ يَلْتَقِطُوها ..

طَارَدُوها مِثْلَ عَصْفُورٍ رِيعِيٍّ إِلَى أَنْ قَتَلُوها ...

هذه الورديةُ الجسم التي تلبس في معصمها البحر سوارا
كم قطفنا البُنَّ من أشجار نهديها ..
وحوّلنا جبالَ الثلج نارا ...
واكتشفناها رصيفاً .. فرصيفاً ..
وبنىناها جداراً فجداراً ...
كم دخلنا بيتها البحريّ أطفالاً صغاراً ..
فلعبنا .. ورقصنا ..
وخرجنا نحمل الشمس بأيدينا ..
وأسماء كاً .. وخبزاً .. ومَحَاراً ...
فلماذا قتلوها ؟
هذه الأنثى التي كانت ترشُّ الماء .. في وجه الصحارى ؟

آه يا بيروت .. يا أنثايَ من بين ملايين النساء
 يا رحيلاً برتقالياً على وردٍ .. وبرقُوقٍ .. وماء ..
 يا طموحي - عندما أكتب أشعاري - لتقريب السماء
 أيّ أخبارٍ تريدِينَ عن الحبِّ .. وعني ..
 ومكاتبي رمادُ ..
 وأحاسيسي رمادُ ..

سرقوا مني مساحاتٍ من الزُّرْقَةِ ليست تُستَعاذُ
ومساحاتٍ من الدهشةِ ليست تستَعاذُ ..
واحتمالاتٍ طيورٍ سوف تأتي ..
واحتمالاتٍ كلامٍ .. سوف يأتي ..
واحتمالاتٍ لعشقٍ ما أتى بعدُ ...
ولكنْ سوف يأتي ...
سوف يأتي ...
سوف يأتي ...

بيروتُ محظيتكم
بيروتُ حبيبتى

سَامِحِينَا ..

إِنْ تَرَكْنَاكَ تَمُوتِينَ وَحِيدَةً ..

وَتَسَلَّلْنَا إِلَى خَارِجِ الْغُرْفَةِ نَبْكِي كَجُنُودٍ هَارِبِينَ

سَامِحِينَا ..

إِنْ رَأَيْنَا دَمَكَ الْوَرْدِيِّ يَنْسَابُ كَأَنْهَارِ الْعَقِيقِ

وَتَفَرَّجْنَا عَلَ فِعْلِ الزِّنَا ..

وَبَقِينَا سَاكِتِينَ ...

آه .. كم كُنَّا قبيحين ، وكُنَّا جُبْنَاء ..
 عندما بعناكِ ، يا بيروت ، في سُوقِ الإماء
 وحجزنا الشَّقَقَ الفخمةَ في حيِّ (الإليزيه) وفي
 (مايفير) لندن ..
 وغسلنا الحزنَ بالخمرة ، والجنس ، وقاعاتِ القمار
 وتذكرنا - على مائدة الروليت - أخبارَ الديار
 وافتقدنا زمنَ الدِفْلَى بلبنان ..
 وعصرَ الجُلَّانَر ..
 وبكىنا مثلما تبكي النساء ...

آهِ .. يا بيروتُ ،
 يا صاحبةَ القلبِ الذَّهَبِ
 سامحينَا ...
 إن جعلناكِ وقُوداً وحَطَبُ
 للخلافاةِ التي تنهشُ من لحمِ العَرَبِ
 منذُ أن كانَ العَرَبُ !!

طمثنيني عنك ... يا صاحبةً الوجه الحزين
 كيف حالُ البحرِ ؟
 هل مُمّ قتلوهُ برصاص القنص مثل الآخرين ؟
 كيف حالُ الحبِّ ؟
 هل أصبح أيضاً لاجئاً ... بين ألوف اللاجئين ...
 كيف حالُ الشَّعرِ ؟
 هل بعدك - يا بيروت - من شِعْرِ يُغْنَى ؟
 ذَبَحْتَنَا هذه الحربُ التي من غير معنى ..
 أفرغتنا من معانينا تماماً ..
 بعثرتنا في أقاصي الأرض ..
 منبوذين .. مسحوقين .. مَرْضَى ... مُتَعَبِينَ ..
 جَعَلَتْ مِنَّا - خلافاً للنُّبوءاتِ - يهوداً تائهين

إصفحي ، سيّدتِي بيروتُ ، عنّا
 نحنُ لم نهجرِكِ مختارينَ .. لكنّا قَرِفْنَا ..
 من مراحِضِ السّياسَةِ ..
 ومَلَلْنَا ..

من ملوكِ السّيركِ ... والسّيركِ .. وغِشِّ اللاعِبِينَ
 وكفَرْنَا ..

بالدكاكين التي تملأ أرجاء المدينة ..
 وتبيعُ النَّاسَ حقداً وضغينةً ..
 وبطاطينَ .. وسجّاداً .. وبتريناً مهرباً ..
 آهِ يا سيّدتِي كم نتعذّبُ ..
 عندما نقرأ أن الشّمسَ في بيروتَ ، صارتْ
 كُرَّةً في أرجُلِ المرتزقينَ ...

ما الذي نَكْتُبُ ، يا سيِّدتي ؟
 نحنُ محكومونَ بالموتِ ، إذا نحنُ صَدَقْنَا ...
 ثمَّ محكومونَ بالموتِ ، إذا نحنُ كَذَبْنَا
 ما الذي نَكْتُبُ يا سيِّدتي ؟
 نحنُ لا نملكُ أن نحتجَّ ..
 أو نصرخَ ..
 أو نبصقَ ..
 أو نكشفَ عن خِيَّتِنَا ..
 أو نتمنَّى ...
 أخِرُ سَتْنَا هذه الحربُ التي من غير معنى ...

طَلَبُوا مِنَّا بِأَنْ نَدْخُلَ فِي مَدْرَسَةِ الْقَتْلِ ..
 وَلَكِنَّا رَفَضْنَا ..
 طَلَبُوا أَنْ نَشْطُرَ الرَّبَّ لِنَصْفِيهِ ..
 وَلَكِنَّا اخْتَجَلْنَا ..
 إِنَّا نُوْمِنُ بِاللَّهِ ..
 لِمَاذَا جَعَلُوا اللَّهَ هُنَا .. مِنْ غَيْرِ مَعْنَى ؟
 طَلَبُوا مِنَّا بِأَنْ نَشْهَدَ ضِدَّ الْحَبِّ ..
 لَكِنْ مَا شَهِدْنَا ..
 طَلَبُوا مِنَّا .. بِأَنْ نَشْتُمَ بِيْرُوتَ الَّتِي قَمَحًا .. وَحَبًّا ..
 وَحَنَانًا ... أَطْعَمْتْنَا ...

طلبوا ..

أن نقطعَ الثديَ الذي من خيرِهِ ، نحنُ رَضِيعُنَا ..
فاعتدِرْنَا ..

ووقفنا ضدَّ كلِّ القاتِلينَ

وبقينا مع لبنانَ سهولاً .. وجبالاً ..

وبقينا مع لبنانَ جنوباً .. وشمالاً ..

وبقينا مع لبنانَ صليباً .. وهلالاً ..

وبقينا مع لبنانَ الينابيعِ ..

ولبنانَ العناقيدِ ..

ولبنانَ الصَّيَابَةِ ..

وبقينا مع لبنانَ الذي علَّمنا الشِّعْرَ ..

وأهدانا الكِتَابَةَ

آه يا سيدي بيروت ..

لو جاء السلام ..

ورجعنا ، كالعصافير التي ماتت من الغربة والبرد ..

لكي نبحث عن أعشاشنا بين الحطام ..

ولكي نبحث عن خمسين ألفاً ..

قتلوا من غير معنى ...

ولكي نبحث عن أهل وأحباب لنا

ذهبوا من غير معنى ..

وبيوت .. وحقول .. وأراجيح .. وأطفال ..

وألماب .. وأقلام .. وكراسات رسم ..

أحرقت من غير معنى ...

آه... يا سيّدي بيروت ..
لو جاء السلام

ورجعنا ..

كطيور البحر ، مذبحين شوقاً وحنينا
وبنا شوقاً إلى (منقوشة الزعتر) .. والليل ..

ومن كانوا يبيعون عقود الياسمين
فن الجائز ، يا بيروت ، أن لا تعرفينا ..
قد تغيّرت كثيراً ...

وتغيّرت كثيراً ...

وكبرنا نحن - في عامين - آلاف السنين

إحتملنا نفينا عشرين شهرا ..
 وشربنا دمعنا عشرين شهرا ..
 وبحشنا في زوايا الأرض عن عشقٍ جديدٍ
 غير أنا ما عشقنا ..
 وشربنا الخمر من كلِّ الدوالي ..
 غير أنا ما سكرنا ..
 وبحشنا عن بديلٍ لكِ ،
 يا أعظمَ بيروت ..
 ويا أطيبَ بيروت ..
 ويا أظهرَ بيروت ...
 ولكن ما وجدنا ...

ورجعنا ..
نلثم الأرض التي أحجارها تكتبُ شعراً ..
والتي أشجارها تكتبُ شعراً ..
والتي حيطانها تكتبُ شعراً ...
وأخذناكِ إلى الصدرِ ..
حقولاً .. وعصافيرَ .. وكورنيشاً .. وبحراً ..
وصرخنا كالمجانين على سطح السفينة :
أنتِ بيروتُ ...
ولا بيروتَ أخرى ...

إلى بيروت الأنثى مع الإعذار

كَانَ لِبْنَانُ لَكُمْ مَرْوَحَةً ...
تَنْشُرُ الْأَلْوَانَ ، وَالظِّلَّ الظَّلِيلَا

كَمْ هَرَبْتُمْ مِنْ صَحَارَاكُمْ إِلَيْهِ ..
تَطْلُبُونَ الْمَاءَ .. وَالْوَجْهَ الْجَمِيلَا ..

وَاعْتَسَلْتُمْ بِنَدَى غَابَاتِهِ
وَاخْتَبَأْتُمْ تَحْتَ جَفْنَيْهِ طَوِيلَا

وتسلَّقْتُمْ عَلَى أَشْجَارِهِ
وَسَرَحْتُمْ فِي بَرَارِيهِ وَعُؤِلَا

وَشَرِبْتُمْ مِنْ خَوَائِيهِ نِيِذَا
وَسَمِعْتُمْ مِنْ شَوَادِيهِ هَدِيَلَا

وَقَطَفْتُمْ مِنْ رَوَائِيهِ الْخُزَامَى
وَالْعِيُونَ الْخُضْرَ .. وَالْخَدَّ الْأَسِيلَا ..

وَأَقْتَنِيتُمْ شَمْسَهُ لَوْلُؤَةً
وَرَكِبْتُمْ أَنْجَمَ اللَّيْلِ خِيُولَا ..

إنه علّمكم أن تعشقوا ..
لم يكن لبنان في العشق بخيلاً ..

إنّه علّمكم أن تقرّأوا ...
هل تقولون له : « شكراً جزيلاً » ..

*

آه يا عشاق بيروت القدامى
هل وجدتم بعد بيروت البديلاً ؟

إن بيروت هي الأنثى التي ...
تمنح الخصب ، وتُعطينا الفُصولاً ..

إِنْ يُمُتْ لِبْنَانُ .. مِثْمَ مَعَهُ
كُلُّ مَنْ يَقْتُلُهُ .. كَانَ الْقَتِيلَا ..

كُلُّ قُبْحٍ فِيهِ ، قُبْحٌ فِيكُمْ
فَاعِيدُوهُ .. كَمَا كَانَ جَمِيلَا ..

إِنَّ كَوْنًا لَيْسَ لِبْنَانُ بِهِ
سَوْفَ يَبْقَى عَدَمًا أَوْ مُسْتَحِيلَا ..

*

كُلُّ مَا يَطْلُبُهُ لِبْنَانُ مِنْكُمْ
أَنْ تُحِبُّوهُ .. تُحِبُّوهُ قَلِيلَا ...

أنا يا صديقة .. مُتَعَبٌ بعروبتى

ألقيت في المهرجان الذي أقامته
الأمانة العامة لجامعة الدول العربية
في مدينة تونس بتاريخ ٢٢/٣/١٩٨٠
بمناسبة مرور خمسة وثلاثين عاماً
على تأسيس الجامعة العربية .

يا تُونُسُ الخُضراءُ .. جثُّكَ عاشقاً
وعلى جبينِي وردةٌ وكتابُ
إنِّي الدمشقيُّ الذي احترفَ الهوى
فاخضَوْضَرَّتْ لغنائه الأعشابُ
أَحْرَفْتُ من خلفي جميعَ مراكبي
إنَّ الهوى أنْ لا يكونَ إيابُ
أنا فوقَ أجفانِ النساءِ مُكسَّرُ
قِطْعاً ، فَعُمِرِي الموجُ والأخشابُ

لم أَنَسَ أَسْمَاءَ النِّسَاءِ .. وَإِنَّمَا
 لِلْحُسْنِ أَسْبَابُ ، وَلِي أَسْبَابُ
 يَا سَاكِنَاتِ الْبَحْرِ .. فِي قَرْطَاجَةٍ
 جَفَّ الشِّدَا ، وَتَفَرَّقَ الْأَصْحَابُ
 أَيْنَ اللَّوَاتِي حُبُّهُنَّ عِبَادَةٌ
 وَغِيَابُهُنَّ ، وَقُرْبُهُنَّ ، عَذَابُ
 الْبَلَابِ قِصَائِي وَمَدَامَعِي
 عَاتِبْتُهُنَّ فَمَا أَفَادَ عِتَابُ
 أَحْبَبْتُهُنَّ ، وَهُنَّ مَا أَحْبَبَنِي
 وَصَدَقْتُهُنَّ ، وَوَعَدُهُنَّ كِذَابُ

إِنِّي لِأَشْعُرُ بِالدُّوَارِ .. فَنَاهِدُ
لِي يَطْمئنُّ .. وَنَاهِدُ يَرْتَابُ
هَلْ دَوْلَةُ الْحَبِّ الَّتِي أُسَّسْتُهَا
سَقَطَتْ عَلَيَّ .. وَسُدَّتِ الْأَبْوَابُ
تَبْكِي الْكُؤُوسُ ، فَبَعْدَ ثَغْرِ حَبِيبِي
حَلَفْتُ بِأَنْ لَا تَسْكُرَ الْأَعْنَابُ
أَيُّدُنِي نَهْدُ تَعَبْتُ بِرَسْمِهِ؟
وَتَخُونُنِي الْأَقْرَاطُ وَالْأَثْوَابُ؟
مَاذَا جَرَى لِمَالِكِي وَيِيارَقِي؟
أَدْعُو رَبَّابَ .. فَلَا تُجِيبُ رَبَّابُ

أَحَاسِبُ امْرَأَةً عَلَى نِسَانِهَا
وَمَتَى اسْتِقَامَ مَعَ النِّسَاءِ حِسَابُ؟
مَا تُبِتُ عَنْ عِشْقِي .. وَلَا اسْتَغْفِرْتُهُ
مَا أَسْخَفَ الْعُشَّاقَ لَوْ هُمْ تَابُوا...

٢

قَمَرٌ دِمَشْقِيٌّ يَسَافِرُ فِي دَمِي
وَبَلَابِلٌ .. وَسَنَابِلٌ .. وَقَبَابُ
الْقُلُ يُبْدَأُ مِنْ دِمَشْقَ بِيَاضِهِ
وَبِعَطْرِهَا تَتَطَيَّبُ الْأَطْيَابُ
وَالْمَاءُ يَبْدَأُ مِنْ دِمَشْقَ .. فَحَيْثُمَا
أَسْنَدْتَ رَأْسَكَ ، جَدُولٌ يَنْسَابُ

والشَّعْرُ عصفورٌ يمدُّ جناحَهُ
فوق الشَّامِ .. وشاعرٌ جوابُ
والحبُّ يبدأ من دمشق .. فأهلنا
عبدوا الجمالَ ، وذوَّبُوهُ .. وذابُوا ..
والخيلُ تبدأ من دمشق مسارَها
وتُشدُّ للفتح الكبير رِكَابُ
والدهرُ يبدأ من دمشق .. وعندها
تبقى اللغاتُ ، وتحفظُ الأنسابُ
ودمشقُ تعطي للعروبة شكلها
وبأرضها ، تشكِّلُ الأحقابُ

بدأ الزِّفافُ ، فمن تكونُ مُضيفتي
 هذا المساءُ ، ومن هو العَرَّابُ ؟
 أنا مُغَنِّي القصر .. يا قرطَاجَةَ
 كيفَ الحضورُ ؟ وما عليَّ ثيابُ
 ماذا أقولُ ؟ فمي يفتِّشُ عن فمي
 والمُفَرَّداتُ حجارةٌ وتُـرَّابُ ..
 فمَادِبُ عَربِيَّةٌ .. وقصائدُ
 همزِيَّةٌ .. ووسائدُ وحُبَابُ
 لا الكأسُ تُنسينا مساحَةَ حزننا
 يوماً .. ولا كلُّ الشرابِ شَرَابُ

من أين يأتي الشعرُ يا قَرطاجَةَ
والله ماتَ .. وعادتِ الأَنْصَابُ

من أينَ يأتي الشعرُ؟. حينَ نهارُنَا
قَمْعُ ، وحينَ مساوِنَا إِرْهَابُ

سَرَقُوا أَصَابِعَنَا .. وَعِطَّرَ حُرُوفَنَا
فَبأيِّ شَيْءٍ يَكْتُبُ الْكُتَّابُ؟

وَالْحُكْمُ شُرْطِيٌّ يَسِيرُ وَرَاءَنَا
سِرّاً .. فَنَكْهَةً خُبِرْنَا اسْتِجَابُ

الشِّعْرُ .. رَغَمَ سَيَاطِئِهِمْ وَسُجُونِهِمْ
مَلِكٌ .. وَهُمْ فِي بَابِهِ حُجَّابٌ ..

من أين أدخل في القصيدة يا ترى؟
 وحدائق الشعر الجميل .. خراب
 لم يبق في دار البلابل بلبل
 لا البحرى هنا .. ولا زرياب
 شعراء هذا اليوم ، جنس ثالث
 فالقول فوضى .. والكلام ضباب
 يتكلمون مع الفراغ .. فما هم
 عجم إذا نطقوا .. ولا أعراب
 اللاهثون على هوامش عمرنا
 سيان إن حضروا ، وإن هم غابوا ..

يتَهَكِّمُونَ عَلَى النِّيْذِ مُعْتَقَاً
وَهُمْ عَلَى سَطْحِ النِّيْذِ ذُبَابُ
الْخَمْرِ تَبْقَى ، إِنَّ تَقَادِمَ عَهْدِهَا
خَمِراً .. وَقَدْ تَغَيَّرَ الْأَكْوَابُ

٥

مَنْ أَيْنَ أَدْخُلُ فِي الْقَصِيدَةِ يَا تُرَى ؟
وَالشَّمْسُ فَوْقَ رُؤُوسِنَا سِرْدَابُ
إِنَّ الْقَصِيدَةَ لَيْسَ مَا كَتَبْتُ يَدِي
لَكِنَّهَا مَا تَكْتُبُ الْأَهْدَابُ ..

نَارُ الْكِتَابَةِ أَحْرَقَتْ أَعْمَارَنَا
فَحَيَاتُنَا الْكَبْرِيسْتُ وَالْأَحْطَابُ

ما الشعرُ ؟ ما وجَعُ الكتابةِ ؟ ما الروى ؟
أولى ضحايانا همُ الكتَّابُ
يُعْطُونَنَا الفَرَحَ الجميلَ .. وحظُّهم
حظُّ البغايا .. ما لهنَّ ثوابُ
يا تونُسُ الخضراءُ .. هذا عالمُ
يُثْري به الأميُّ .. والنصَّابُ ..
فمن الخليجِ إلى المحيطِ .. قبائلُ
بَطَرَتْ ، فلا فِكْرٌ ولا آدابُ
في عصرِ زَيْتِ الكازِ .. يطلُبُ شاعرُ
ثوباً ، وترْفُلُ بالحريرِ قَحَابُ !!!

هل في العُيُونِ التُّونُسِيَّةِ شَاطِئُ
ترتاحُ فوقَ رمالِهِ الأعصابُ؟

أنا يا صديقةُ مُتَعَبٌ بِعُرُوبَتِي
فهل العروبةُ لَعَنَةُ وَعِقَابُ؟

أَمْشِي عَلَى وَرَقِ الخَريطَةِ خائِفاً
فَعَلَى الخَريطَةِ كُلُّنا أَغْرَابُ ..

أَتَكَلَّمُ الفُصْحَى أَمَامَ عَشِيرَتِي
وَأُعِيدُ .. لَكِنْ مَا هُنَاكَ جَوَابُ

لَوْلا العِباءاتُ الَّتِي التَّفُّوا بِهَا
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُمْ أَغْرَابُ ..

يتقاتلون على بقايا تمرٍ
فخناجرٌ مرفوعةٌ وجِرابُ
قُبَلَتُهُمْ عربيّةٌ .. من ذا رأى
فيما رأى ، قُبَلًا لها أنيابُ

٧

يا تونسُ الخضراءُ .. كأسِي عِلْقَمُ
أَعْلَى الهزيمة تُشربُ الأنخابُ ؟
وخريطةُ الوطنِ الكبيرِ فضيحةُ
فحواجزُ .. ومخافِرُ .. وكِلابُ
والعالمُ العربيُّ .. إمّا نَعْجَةٌ
مذبوحةٌ ، أو حاكمُ قَصَّابُ

والعالمُ العربيُّ يرهنُ سيفه
فحكايةُ الشرفِ الرفيعِ سرابُ
والعالمُ العربيُّ يخزنُ نفطه
في خَصِيَّتَيْهِ .. وربُّكَ الوهابُ
والناسُ قبلَ النفطِ أو من بعده ،
مُستنزفون ، فسادةٌ ودوابُ

٨

يا تُونُسُ الخضراءُ .. كيف خلاصنا؟
لم يبقَ من كُتُبِ السماءِ كتابُ ..
ماتتْ خيولُ بني أميةَ كلُّها
خَجَلًا .. وظلَّ الصَّرفُ والإعرابُ

فكأنّما كُتِبُ التراثُ خُرَافَةٌ
كُبرى ، فلا عُمَرُ .. ولا خطَّابُ

وبيارقُ ابنِ العاصِ تمسحُ دُمُعُها
وعزیزُ مصرٍ بالقُصَامِ مُصَابُ

مَنْ ذا يُصدِّقُ أنَّ مصرَ تهوِّدَتْ
فمَقَامُ سَيِّدِنَا الحُسَيْنِ يَبَابُ

ما هذهِ مصرُ .. فإنَّ صَلَاتُها
عِبْرِيَّةٌ .. وإمامُها كَذَّابُ

ما هذهِ مصرُ .. فإنَّ سماءُها
صُغُرَتْ ، وإنَّ نساءَها أُسْلَابُ

إِنْ جَاءَ كَافُورٌ .. فَكَمْ مِنْ حَاكِمٍ
قَهَرَ الشُّعُوبَ ، وَتَاجَهُ قُبْقَابُ ...

٩

بَحْرِيَّةَ الْعَيْنَيْنِ .. يَا قَرطَاجَةَ
شَاخَ الزَّمَانُ ، وَأَنْتِ بَعْدُ شَبَابُ

هَلْ لِي بِعَرَضِ الْبَحْرِ نِصْفُ جَزِيرَةٍ؟
أَمْ أَنَّ حَبِّي التُّونِسِيَّ سَرَابُ

أَنَا مُتَعَبٌ .. وَدَفَاتِرِي تَعِبَتْ مَعِي
هَلْ لِلدَّفَاتِرِ يَا تُرَى أَعْصَابُ؟

حُزْنِي بِنَفْسَجَةٍ يُبَلِّلُهَا النَّدَى
وَضِيفَافُ جِرْحِي رَوْضَةً مِغْشَابُ

لا تَعْذِلْنِي .. إِنْ كَشَفْتُ مُوَاجِعِي
وَجْهَ الْحَقِيقَةِ مَا عَلَيْهِ نِقَابُ

إِنَّ الْجُنُونَ وَرَاءَ نِصْفِ قِصَائِدِي
أَوَلَيْسَ فِي بَعْضِ الْجُنُونِ صَوَابُ؟

فَتَحْمَلِي غَضَبِي الْجَمِيلَ ، فَرُبَّمَا
ثَارَتْ عَلَى أَمْرِ السَّمَاءِ هِضَابُ

فَإِذَا صَرَخْتُ بِوَجْهِ مَنْ أَحْبَبْتُهُمْ
فَلَكَ يَعْيشَ الْحُبُّ وَالْأَحْبَابُ

وَإِذَا قَسَوْتُ عَلَى الْعُرُوبَةِ مَرَّةً
فَلَقَدْ تَضَيَّقُ بِكُحْلِهَا الْأَهْدَابُ

فلربّما تجدُ العروبةُ نفسَها
ويضيُّ في قلب الظلام شهابُ
ولقد تطيرُ من العقالِ حمَامَةٌ
ومن العباءة تطلع الأعشابُ

١٠

قَرطَاجَةٌ .. قَرطَاجَةٌ .. قَرطَاجَةٌ ..
هل لي لصدركِ رَجْعَةٌ ومَتَابُ؟
لا تغضبي مِنِّي .. إذا غَلَبَ الهوى
إنَّ الهوى في طبعه غَلَّابُ
فَذُنُوبُ شِعْري كُلُّها مَغْفُورَةٌ
والله - جلَّ جلالُهُ - التَّوَّابُ ..

فهرست

الصفحة	القصيدة
٩	إيضاح إلى قراء شعري
١٣	خبز وحشيش وقمر
٢٥	قصة راشيل شوارزنبرغ
٣٩	رسالة جندي في السويس
٤٩	جميلة بو حيرد
٥٩	الحب والبتروول
٦٩	هوامش على دفتر النكسة
٩٩	الممثلون
١٢١	الاستجواب
١٣٧	فتح
١٤٩	شعراء الأرض المحتلة
١٥٩	القدس
١٦٥	منشورات فدائية
١٩٩	عرس الخيول الفلسطينية
	دعوة اصطيف للخامس من
٢٠٧	حزيران

القصيدة الصفحة

٢١٥	حوار مع أعرابي أضاع فرسه
٢٢٧	جريمة شرف أمام المحاكم العربية.
٢٤١	الحاكم والعصفور
٢٤٧	الوصية
٢٥٩	الخطاب
٢٧٩	بانتظار غودو
٢٩٧	مورفين
٣٠١	قراءة على أضرحه المجاذيب
٣١٣	حوار مع ملك المغول
٣١٩	إلى الجندي العربي المجهول
٣٢٥	طريق واحد
٣٣١	لصوص المتاحف
٣٣٥	تعريف غير كلاسيكي للوطن ...
٣٣٩	خطاب شخصي إلى شهر حزينان .
٣٤٣	قصيدة اعتذار لأبي تمام
٣٥٣	جمال عبد الناصر
٣٦٥	الهرم الرابع
٣٧٣	رسالة إلى جمال عبد الناصر
٣٨١	إليه في يوم ميلاده

القصيدة الصفحة

٣٩١	إفادة في محكمة الشعر
٤١٥	من مفكرة عاشق دمشقي
٤٢٧	ترصيع بالذهب على سيف دمشقي ..
٤٤٥	ملاحظات في زمن الحب والحرب ..
٤٦٩	حوار ثوري مع طه حسين
٤٨٥	مرسوم بأقالة خالد بن الوليد
٤٩٩	مواويل دمشقية إلى قمر بغداد ..
٥١٥	موال دمشقي
٥٢١	موال بغداددي
٥٢٧	مذكرات اندلسية
٥٤٣	أوراق إسبانية
٥٥٧	أحزان في الأندلس
٥٦٩	غرناطة
٥٧٥	يا ست الدنيا يا بيروت
٥٩١	سبع رسائل ضائعة في بريد بيروت ..
٦٠٩	بيروت محظيتكم .. بيروت حبيتي ..
٦٢٣	إلى بيروت الأثني مع الاعتذار ..
٦٢٩	أنا يا صديقة متعب بعروبتى

منشورات نزار قبادی
ص. ب. ۶۲۵
بیروت

